المحاضرة الثّامنة: علم الدّلالة والعلوم الأخرى

تمهيد:

لا شكّ أنّ الدّراسات اللّغوية وغير اللّغوية خطت خطوات حثيثة في بناء هيكلها ومنهجها في البحث في العصر الحديث، وهذه الدّراسات في تطوّر مستمرّ تبعا لاحتياجات الإنسان في شتى مجالات الحياة خصوصا مع العولمة وما لها من أثر عميق في تدفّق التّقاطعات المعرفية بين هذه العلوم اللّغوية وتلك العلوم غير اللّغوية.

إنّه من الطبيعي – في ضوء ذلك– أن تتعالق العلوم ويأخذ بعضها في رقاب بعض، فهذه سنّة التّواصل العلمية القائمة على المناهج العلمية، وبما أنّ **اللّسانيات** (Lingustics) من العلوم الدّقيقة التي عملت على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، فقد كان لها أن استفادت من العلوم الأخرى، كما أنها أفادتها بالموازاة، ولأنّ **علم الدّلالة** (Semantics) فرع من اللّسانيات فقد احتاج في مسيرته أن يتفاعل ويتباين ويتقاطع مع علوم أخرى، منها اللغوية التي تصب في مجراه كـــ(علم الأصوات، علم الصرف، علم النحو، علم المعجم، البلاغة الأسلوبية، التداولية، تحليل الخطاب، الترجمة، النقد الأدبي)، ومنها غير اللغوية (علم النفس، علم الاجتماع، علوم الاتصال، علم انثروبولوجيا، الفلسفة والمنطق)، والسّيميولوجيا، سنحاول في هذه المحاضرة التفصيل في بعض هذه العلوم، على أنّنا سنفرد محاضرات خاصّة لعلوم أخرى تبعا لمفردات المقياس التي أقرتها الوزارة الوصيّة.

أوّلا: علاقة علم الدّلالة بعلم الأصوات:

يمثّل الصّوت اللّغوي الأداة الأكثر فعالية للتواصل بين بني البشر، فهو يصاحب كل النّشاطات الإنسانية التي يشترك فيها اثنان أو أكثر، فيه تتحقق لغة التّفاهم وتبادل الأفكار، ونظرا لهذه الأهمّية التي يحظى بها، ظهر علم يهتم بدراسة الأصوات اللّغوية هو "علم الأصوات" **Phonetics** وهو العلم الذي يهتم "بدراسة الأصوات من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل Actual speech events لها تأثير سمعيّ معيّن Auditory effects "[1] أي أنّه العلم الذي يهتمّ بحركة أعضاء النّطق وكيفية إنتاج

[1]–كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000م، ص 66.

الكلام، وصفات الأصوات ومخارجها والسّؤال المطروح هنا: ما علاقة هذا العلم بعلم الدلالة؟

نتمثّل هذه العلاقة بوضوح في مبحث "الفونيم" **Phoneme** القادر على التّمييز بين الكلمات من ناحية الدّلالة، فقد يحدث في ثنائي من الكلمات اختلاف في الدّلالة، يردّ إلى تبادل فونيمين معيّنين، ففي الإنجليزية مثلا يوجد تَغَايُرٌ في المعنى بين (Right) و (light)، وبين (Town) و(down) وسببه هو وضع فونيم مكان آخر، بين (R) والـ (L) وكذلك الحال بالنسبة لـــ (D) مع (T)[1].

ومما لاشكّ فيه أنّ العلوم اللّسانية تتعالق فيما بينها ويؤثر أحدها في الآخر، وهذه حال هذين العلمين (علم الدلالة/علم الأصوات) اللّذين يترابطان ترابطا وثيقا، فلا يمكن للكلمة الواحدة أن تنتظم دلالتها دون الإطار التّشكيلي الذي يبني وجودها، ذلك لأن الصّوت هو جسد الدّلالة، فكل استبدال للصّوت يؤدّي بالضّرورة إلى تغيير في دلالة الكلمة، وهذا ليس حِكْرا على لغة دون أخرى، إنما هو ناموس كلّ اللّغات الطّبيعية.

فبالنظر إلى التّراث العربي القديم، نجد من الّلغويين الذين وضّحوا الاختلافات الصّوتية وتأثيرها في التّعديل الدّلالي للكلمات **ابن جني** (**ت 392ه**)، هذا اللّغويّ الذي توسّع في فكرة علاقة اللّفظ بمعناه، مركّزا على التّأثير الصّوتيّ للحرف في اختلاف دلالة الكلمات[2]، مثاله في ذلك تفرقته بين كلمتي (**الخِضْمُ**) و(**القِضْمُ**) بسبب التّمايز بين الفونيمين (الخاء والقاف)، فكلتا الكلمتين تدلّان على الأكل، غير أنّ هذا الأكل مرهون بطبيعة المأكول قوّة وضعفا؛ فإذا كان رطبا كالخسّ والخضار والفواكه فهو (خِضْمٌ)، وإذا كان للصّلب منها كالحبوب والأعلاف فهو (قِضْمٌ).

ومثله الفرق الدّلالي بين كلمتيْ (نضح)و(نضخ) حيث توجد مناسبة طبيعية بين الصّوت ومعناه؛ فالأولى للعَرَق وهي دالّة على قلّته، والثّانية للماء وهي دالّة على قوة تدفّقه، فالأوّل سيلان ببطء وتؤدة، والثاني يكون لفوران السّائل بقوّة وبشدّة، ومردّ هذا الاختلاف الدّلاليّ إلى اختلاف

---

[1] ــ ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2006م، ص 212.

[2] ــينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية – القاهرة، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ج1 ص 65 .

صفة الصّوتين: **الحاء والخاء**، فالأوّل منهما مرقّق، وأمّا ثانيهما فمفخّم.

و بالانتقال إلى الفونيمات فوق التّركيبية[*] التي تدخل ضمن مباحث الفونولوجيا Phonology ذلك العلم الذي يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللّغة، نجد ظاهرتي النّبر والتّنغيم؛ فالنّبر (stress) «نشاط ذاتيّ للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز (Prominence) لأحد الأصوات أو المقاطع بالنّسبة لما يحيط به»[1]، مما يؤدّي إلى العلو (loudness) في الأثر السمعي الذي ينتج عنه.

فالإنجليزية مثلا من اللّغات التي تستخدم النّبر للتّفريق بين المعاني، فيكون موضع النّبر فيها حرّا Free stress، فتغيير النبر في الكلمة يؤدي إلى اختلاف المعنى، فكلمة (**August**) إذا نُبِرَ مقطعها الأوّل دلّت على الشّهر المعروف باسم (أوت)، وإذا نُبِرَ مقطعها الثّاني دلّت على أنّ هذا الشّيء (جليل، ومَهيب).

ومثال ذلك بعض الكلمات التي تتشابه نطقا وتختلف معانيها [2]:

-**Below مع Billow** : فالأولى بمعنى **تحت**، والثّانية بمعنى **يتلاطم كالموج**.

-**insight مع incite**: الأولى بمعنى **نفاذ البصيرة** والثانية بمعنى **يحرّض**

أما التنغيم (Intonation) فهو تلك الدّرجات الصّوتية التي تقع على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة منها، وهذه التّنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني.

وأحسن مثال نسوقه في هذا الباب من اللغة العربية كلمة (**جزاؤه**) في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ [سورة يوسف: 74-75]

---

[*]-هذا المصطلح ذكره أصحاب نظرية الفونيم، في مقابل الفونيم التركيبي (segmental phoneme) الذي يشمل الجزئيات الصّوتية التي تُستخدم في تركيب الحدث الكلامي كالسّواكن والعلل.

[1] _ أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، المصدر السّابق، ص 221.

[2] _المرجع نفسه، ص 223.

(**فجزاؤه**) الأولى عبّرت عن الاستفهام لأنّ نغمته صاعدة، و(**جزاؤه**) الثّانية دلّت على التوّكيد، ودلّت (**جزاؤه**) الثّالثة على التّقرير [1].

ومن الكلمات المفردة التي توظف كجملة وتستعمل بأشكال متغايرة في اللغة الانجليزية نجد كلمة (**yes**) التي تنطق بتنغيمات مختلفة فتتغاير بذلك دلالاتها نوضحها في المخطط الآتي:

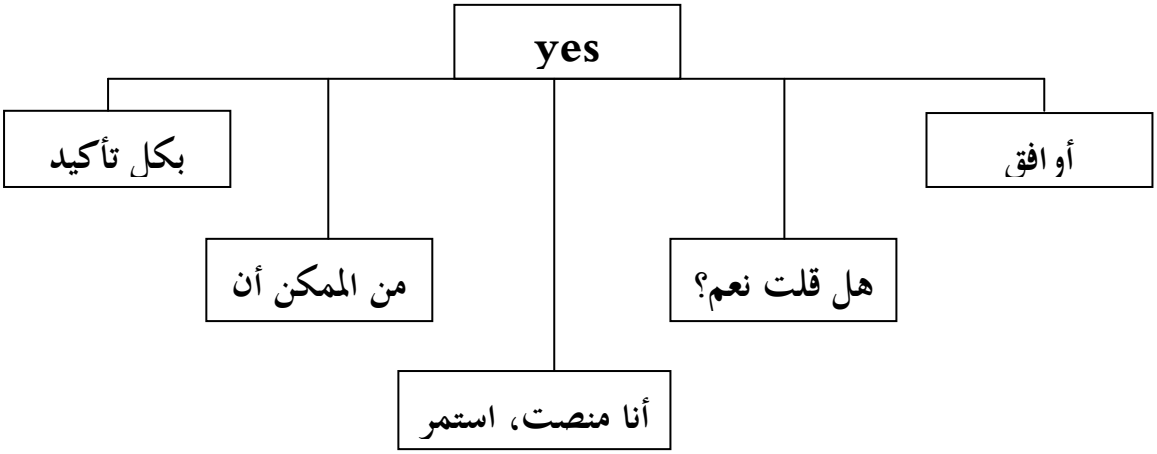

إنّ تغيير نوع التّنغيم بين المتوسط (الاستواء) والصّعود، والهبوط، والصّعود والهبوط معا، أو الهبوط والصعود معا، يؤدّي لامحالة إلى تغيّر دلاليّ في مدلول الكلمة، فـــ (**yes**) هنا عبّرت عن جملة تقريرية عندما رادفت معنى (أوافق)، وجاءت نغمتها الصّاعدة لتدلّ على الاستفهام في صورتها الثانية، بينما جاءت نغمتها مستوية عندما عبّرت عن الإخبار: (أنا منصت، استمر)، كما دلّت على الاحتمال بنزول نغمتها ثم ارتفاعها في الصّورة الرّابعة، لتعبر أخيرا عن النغمة الهابطة بسبب دلالتها على التوكيد في (بكل تأكيد).

ولعله يكفي لتلخيص ما سبق ذكره بخصوص علاقة علم الدّلالة بعلم الأصوات أن نقول: إنّ هذه الظاهرة التّطريزية (prosodique) هي مظاهر صوتية مصاحبة لعملية النّطق، ولها أهميتها وظيفيا في التّمييز الدّلالي بين الكلمات والجمل« فالمظاهر النّغمية في اللغة، قد تؤدّي من المعاني ما تعجز عن أدائها الكلمات، أو حتى نظام تأليفها التركيبي، بل إنها قد تقوم مقام عبارات محذوفة من حيث

---

[1] _ ينظر: خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة، العلمة-الجزائر، ط1، 2009م، ص90.

أداء الدّلالة وزيادة»[1]، وهذا ما أوضحه (ابن جنّي) ، الذي حدّثنا عن طريقة أداء الكلام، ومطله، وتمطيطه، وأثر ذلك في عمليتي التّعبير والإفهام، وله في ذلك أمثلة ساقها في هذا المقام، مثال ذلك قوله: **سألناه فوجدناه إنسانا !** فتفخيم لفظة (**إنسانا**) جعلتنا نستغني عن وصفه بقولنا، كان إنسانا سَمِحًا أو جَوَادًا.

وقد تتبّع خطى ابن جنّي بعض المحدثين الذين أكّدوا أهمّية العلاقة بين الصّوت والمعنى، كما فعل صبحي الصّالح حيث خصّص في كتابه " دراسات في فقه اللّغة" بابا تحدّث فيه عن **"مناسبة حروف العربية لمعانيها"**، وتعبير الصّوت عن غرض محدّد، سواء بوقوعه في أوّل الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها.

فمن الأمثلة المُستشهد بها تفريقه بين كلمتَيْ " صَعِدَ" و "سَعِدَ" فيقول: **"** فجعلوا الصّاد لأنّها أقوى لما فيه أثر مُشَاهَد يُرَى، وهو الصّعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك؛ وجعلوا السّين لضعفها، لما لا يظهر ولا يُشاهد حِسًّا**"** [2]. فالصّاد في عرف اللّغويين ومنهم – صبحي الصّالح-أقوى من السّين مخرجا وصفة، وعليه فحيثما وُجدت في الكلمة فهي تدلّ على القوّة والمشقّة والجهد، وهذا كلّه يمكن إدراكه عن طريق حاسّة البصر، بينما تدلّ السّين عندهم لضعفها وهمسها على كلّ خفيّ لا يمكن مشاهدته، لهذا تعبّر عن كلّ ما تعرفه النّفس دون أن تراه العين، والسّعادة مشاعر خفيّة لا يمكن مشاهدتها.

كما ألحّ محمّد المبارك من ناحية ثانية على القيمة التّعبيرية للحرف الواحد في اللّغة العربية، حيث يرى أنّ للحرف قيمة دلالية ووظيفية في تكوين المعنى وتحديده، وهذه الخاصّية أكثر بروزا في اللّغة العربية دون غيرها من اللّغات [3].

---

[1] _نواري سعودي أبو زيد: الدّليل النّظري في علم الدّلالة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، ص 50.

[2]- ينظر: صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط3 ،2009 م، ص 143.

[3]- ينظر: رفيقة بن ميسية: علاقة علم الدّلالة بعلوم اللّغة، مقال ضمن الكتاب الجماعي: دراسات في الدّلالة وتطبيقاتها، المرجع السّابق، ص100.

ثانيا: علاقة علم الدّلالة بعلم الصّرف:

تخضع الكلمة في النّص إلى جملة من التّغيرات البنيوية في صيغتها، فيؤدي ذلك إلى تغيّر في دلالتها، فالهيئة الشّكلية للكلمة متغيرة للدلالة على المفرد أو المثنى أو الجمع أو للدّلالة على التذكير والتأنيث في مجال الجنس، فقولنا مثلا: **فرس وفرسان** جعل الكلمة تنتقل من الإفراد نحو الجمع بزيادة الألف والنون، وهذه التّغييرات التّصريفية التركيبة هي مجال علم قائم بذاته يسمى علم الصّرف.

والصّرف في اللّغة التّفسير، وأما **علم الصّرف** فهو «العلم الذي يبحث فيما يقع في الكلمات (الجذور) من تغيير هدفه بناء كلمات جديدة»[1]، كما يتجاوز ذلك إلى تصنيف الكلمات أهي صفات أو أسماء أو أفعال ضمن إطار الصّيغ الصرفية التي تُصبّ فيها، وما تؤدّيه هذه الصّيغ من وظائف ودلالات يتبيّنها المتلقّي من هيئتها وشكلها، أما التّصريف فقد أقرّ ابن جني بأنّه إخضاع الكلمة إلى الميزان الصّرفي فتتغير دلالتها بتغير صيغتها، كقولنا: كاتب، مكتوب، مكتبة، يكتبون، مكتبة، كتب...الخ، وفي اللغة الانجليزية كلمة (Fright) تعني (خوفا) فهي اسم (Noun)، بينما عند تحويلها إلى فعل فيتعيّن إضافة اللاحقة (en) لتصبح فعلا بمعنى أخاف وأفزع (Frighten) فصنف الصّيغة أدّى إلى تغيّر نمط الكلمة من جهة، ودلالتها من جهة ثانية.

والملاحظ أنّ علم الصّرف كثيرا ما يتداخل من علمي الدّلالة والنّحو مَعاً، فتداخله مع النّحو مثلا يصعب إنكاره، نتمثّل ذلك في ظاهرة **الفعل المبني للمجهول**، الذي يعدّ أكثر الوحدات اللّسانية تعبيرا عن هذه العلاقة، «فهو تغيير شكلي يصيب المفردة، (الجذور) إلاّ أنّه يستتبع تحويل المفعول به الأصلي إلى ما يشبه الفاعل شكليا، ونقله من موقعه السابق إلى موقع جديد في ترتيب عناصر الجملة، ويسمى في المصطلح النحوي العربي نائبا عن الفاعل»[2].

وهذا التّموقع الجديد من النّاحية النّحوية، مع تغيير حركة الفعل من النّاحية الصّرفية، يؤدي لامحالة إلى تغيير الوظيفة، ذلك أنّ: **كَتَبَ** محمّدُ الدَّرْسَ، **وكُتِبَ** الدَّرْسُ، غيّرت مجرى النّظام النّحوي، وسببه الأول هو تغيّر مجرى النظام الصّرفي بالانتقال من المعلوم نحو المجهول، عن طريق استبدال

---

[1] _ إبراهيم محمود خليل: في اللّسانيات ونحو النّص، المرجع السابق، ص 65.

[2] _ المرجع نفسه، 67.

الصّيغة الصّرفية (فَعَلَ) بالصّيغة (فُعِلَ).

ويعدّ "المورفيم" Morpheme أصغر وحدة صرفية في بنية اللّسان التي يجعلها علم الصّرف موضوعا له، فهو وحدة دنيا حاملة للمعنى، وقابلة للتّغير في مستواها الدّلالي تبعا لتغيّر صيغتها الصّرفية، أو استبدال إحدى أصواتها بأخرى.

ومع تبدّل المورفيم يتضح لنا مستوى العلاقة الكامنة بين علمي الصّرف والدلالة ونمثل لذلك بنماذج من اللّغتين: العربية والإنجليزية كالآتي: [1].

أمثلة من اللغة العربية	أمثلة من اللغة الإنجليزية
-حِمَارٌ/ حَميرٌ	(رجال) **Men** /(رجل) **Man**
-دَارٌ/ دُورٌ	(أقدام) **feet** /(قدم) **Foot**
-سَرِيرٌ/أسِرَّةٌ	(يمسك) **hold** / (أمسك) **held**
-كتاب/ كُتُب	(قطط) **cats** /قط **cat**

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أنّ اللّغة العربية قد اتخذت لكل اسم صيغة مختلفة في انتقاله من حالة الإفراد إلى حالة الجمع، فمثلا كلمة **كتاب** على وزن (فِعَال) فإن جمعها على وزن (فُعُلٌ) كُتُبٌ غير أنّ هذه القاعدة ليست مطّردة، ولا يمكن توظيفها مع كلّ الكلمات العربية، فكلمة (حِمار) على وزن (فِعال) غير أنّ جمعها على وزن **فَعِيل** /حمير.

وتتباين اللّغة العربية عن نظيرتها الإنجليزية التي لا تعتمد صيغة معيّنة في تحديد إفراد وجمع الكلمة، وإنما تعتمد طريقة تغيير البنية الشّكلية للكلمة المفردة، بعد تغيير بعض فونيماتها كما حدث مع كلمة (**Men**) في الجمع التي تحوّل فيها الفونيم الدّال على المفرد [a] إلى الفونيم [e] للانتقال من الإفراد إلى الجمع، حيث حوّل الصّائت الطويل إلى صائت قصير.

[1] _ينظر: عبد الحميد عبد الواحد: الكلمة في اللّسانيات الحديثة، المرجع السّابق، ص 110-11.

هذه الأمثلة وغيرها، تؤكد تشابك المستويين الصّرفي والدّلالي؛ ذلك أنّ أيّ تغيير في مستوى صيغة الكلمة يؤدّي لا محالة إلى تغيير دلالتها، فإضافة مورفيم الجمع (s) في اللّغة الانجليزية في كلمة (cats) قد حوّل الكلمة من دلالتها على المفرد إلى دلالتها على الجمع.

فهذه المورفيمات المقيّدة لها قيمتها في توسيع مجال دلالات المورفيمات الحرّة، ويتجلى هذا واضحا في اللغة العربية، فكلمة (مسلم+ **ات**) =مسلمات، وكلمة (مسلم+ **ون**) = مسلمون، لكلّ منهما مورفيمات دالّة على الجمع، غير أنّ هذا الجمع يتباين بين جمع المذكّر وجمع المؤنّث بتغير اللّاحقة الدّالة عليه. حيث جاء مورفيم الجمع في صورتين أولها (ات) وهو دال على جمع المؤنث، وثانها (ون) وهي تدلّ على الجمع المذكر.

ولنا في الخطاب القرآنيّ أمثلة كثيرة توضّح لنا تباين دلالة الصّيغ بتباين تشكيلها، فصيغة (فعّال) وزن قياسيّ من أوزان صيغ المبالغة، التي جاء على وزنها لفظ (لوّامة) في الآية الثّانية من سورة القيامة " ولا أقسم بالنّفس اللّوّامة" أفادت إلى جانب دلالتها المعجمية (اللّوم) تكرار اللّوم والمبالغة فيه، خوفا من عقاب المولى عزّ وجل بسبب الذّنوب التي يقع بها الإنسان.

نستنتج مما سبق ذكره أنّ المورفيمات (خاصة المقيّدة) متعدّدة الدّلالة [1]، ففي الإنجليزية يستخدم الصّوت (s) للدلالة على الجمع، وللدّلالة على أنّ هذا الفعل هو فعل مضارع مع الضميرين (she/he)، ومثل ذلك (التاء) في اللّغة العربية، قد تدلّ على تأنيث الاسم مثل: رقيّة، وتدلّ على المذكّر المفرد مثل: معاوية. وهي تدلّ على الجمع في مثل قياصرة، وعلى التّكثير والمبالغة كقولهم: علاّمة.

والملاحظ أنّ أقسام المورفيمات المذكورة أعلاه دائرتها واسعة، وهي تتّسع لأصناف عديدة ومختلفة في اللّسان الواحد فما بالنا بالألسنة جميعا.

ثالثا: علاقة علم الدّلالة بعلم النّحو:

ما من شكّ فيه أنّ البحث في المعنى قاسم مشترك بين علوم كثيرة، فقد شغل الفقهاء،

[1] _ ينظر: إبراهيم محمود خليل، المرجع السابق، ص 76.

والفلاسفة، وعلماء النفس والاجتماع، والتربية وعلماء اللغة، والذي يعنينا هنا هو معرفة نظرة عالم النحو لهذا المعنى، فقد عرف اهتمامات كبيرة في الدّرس النّحوي العربي بدءا من سيبويه بصورة تدعو إلى تتبعه ورصده، ومعرفة ميزاته كي تتبين لنا نقاط الاشتراك بين علمي النّحو والدلالة.

وقبل أن نقف عند حدود هذه العلاقة وجب في البدء الإلماع إلى أنّ هناك اتجاهين في الدّرس اللغوي المعاصر؛ اتّجاه يربط النّحو بالدلالة ويرى أنّ النّحو هو الأساس والدّلالة عنصر تفسيري، وهو الاتّجاه المتبّنى من طرف تشومسكي، والقائل **بالدّلالة التّفسيرية**، بينما يرى الاتجاه الثاني أنّ الدّلالة هي التّركيب العميق للجملة وأنّ النّحو ليس سوى وسيلة لتحويل التّركيب العميق إلى تركيب سطحيّ، وهنا يكون لدينا ما يسمّى **بالدّلالة التوليدية**[1]،ويمثّله المعارضون من تلامذة تشومسكي الذين يرون أنّ التّحويلات لا يجب أن تغيّر المعنى.

إلا أنّنا نتبنّى الرّأي القائل بتداخل النّحو والدّلالة، فمن الصّعوبة بمكان الفصل بينهما؛ فالدّلالة تتغير بتغير البنية التركيبية، وهذا ما أشار إليه إمام النّحاة **سيبويه** (ت180ه) في أكثر من موضع في كتابه، خصوصا في موضوع (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) يقول فيه: " فمنه مستقيم حسن، و محال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو مُحَالٌ كذب.

-فأمّا **المستقيم الحسن** فقولك : أتيتُكَ أمْسِ و سآتيك غدًا.

-و أمّا **المُحال** فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدًا ، و سآتيك أمسِ.

و أما **المستقيم الكذب** فقولك : حَمَلْتُ الجَبَلَ ، و شرِبْتُ مَاءَ البَحْرِ ، و نحوه.

و أما **المستقيم القبيح** فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيتُ ، و كيْ زيدٌ يأتيكَ ، و أشباه هذا.

و أما **المُحال الكذب** فأن تقول: سَوْفَ أَشْرَبُ مَاءَ البَحْرِ أَمْسِ "[2].

---

[1] _ ينظر: صلاح الدّين صالح حسنين: الدّلالة والنّحو، مكتبة الآداب، ط1، م2005، ص 115.

[2]-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1988 م، ج 1، ص 25-26.

ارتبط مفهوم الاستقامة عند سيبويه بالصّحة النّحوية؛ فكلّ ما وافق قواعد اللّغة العربية تركيبيا يعدّ كلاما مستقيما؛ و أمّا إن خالف هذه القواعد فهو من الكلام المُحال، ثم تدرّج بعد ذلك في تحديد أقسام الكلام المستقيم انتقالا من الكلّ نحو الجزء؛ إذ جعل المستقيم ثلاثة أقسام منها: الحسن و منها القبيح و منها الكذب؛ و هذه الأحكام جميعها متعلقة بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما تترابط نحويا.

المثالان اللّذان ساقهما سيبويه في نموذج " **المستقيم الحسن** " هما: أتيتُكَ أمسِ، و سآتيك غدًا، و كِلا الجملتان تتصدران بفعل يتلوه فاعل ثم المفعول به، ثم ظرف الزمان، فبنيتهما النّحوية متشابهة. غير أنّ الاختلاف بينهما يكمن في دلالة الجملة الأولى على المُضي عن طريق موافقة الفعل (أتيتك) مع ظرف الزمان (أمسِ)، بينما أحالتنا الجملة الثانية على المستقبل بتصدرها باللّسين (حرف التنفيس) الدّالة على المستقبل مع الفعل المضارع، واتّفاق ذلك مع الظرف (غدًا) الدّال على المستقبل "ولذلك جاء هذان المثالان من الكلام المستقيم الحسن الذي لم تتصادم فيه قواعد الاختيار في الوظائف النحوية و المفردات بدلالتها الأولية. فالحُسْن إذن – بهذا المنظور – متعلق بمدى تعالق الكفاءتين النحوية والدلالية؛ فالصّحة النحوية مع الاستقامة الدلالية تعطينا نصا مقبولا في منتهى الفصاحة.

بينما **المستقيم الكذب** ما كان صحيحا نحويا، وخرج من سياق الحقيقة نحو المجاز كما في قولهم: حملت الجبل وشربت ماء البحر. فالملاحظ أنّ الجملتين الفعليتين صحيحتين نحويا، إذ تألّفت الأولى من (فعل + فاعل + مفعول به)، و تألّفت الثانية من (فعل + فاعل + مفعول به + مضاف إليه).و من هنا حُكم عليهما بالاستقامة، و لكن السّؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا وصفتا بالكذب ؟

إنّ " الكذب " كحكم قيمة ارتبط عند سيبويه بالصّورة المجازية التي تُحيل المتلقّي من عالم الواقع المقبول موضوعيا إلى عالم التخييل المرفوض لعدم قدرة الإنسان على إدراكه. فعلى الرّغم من تحقّق التّرابط في الجملتين السّابقتين في بنيتهما النّحوية، غير أنّ العلاقة الدّلالية بين عناصرهما لا تبدو منطقية عند صاحب الكتاب؛ لأنه يستحيل على الإنسان حمْل الجبل لأنه يتجاوز طاقته وقوّته، كما لا يمكن له أن يشرب ماء البحر لملوحته من جهة، ولغزارته وكثرته من جهة ثانية.

أمّا **المستقيم القبيح** فأن تضع اللفظ في غير موضعه، فيجيء التّركيب خاطئا، نحو قولك: قد زيدًا

رأيتُ. فالقُبح بهذا المنظور إذن مقرون بفساد الدّلالة التي لا تتحصل من هذا التقديم والتأخير الذي أفسد المعنى.

ويبدو أن أهمّية التّعالق بين التركّيب والدّلالة في الخطابات اللّغوية لم يكن من اهتمامات سيبويه فحسب، بل جاء موضوعا للنّقاش عند اللّغويين الذين جاؤوا بعده إذ يؤكدون على أوجه التّرابط بين الدّلالة والنّحو في مبحث أطلقوا عليه تسمية " التّعليق النّحوي" الذي كان عندهم منطلقا مهمّا في فهم المعنى، كما عبّر عن ذلك **المبرّد** (ت 285هـ) إذ يقول بأنّ " **اللّفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى، واستغنى الكلام** "[1] لأنّ الفائدة من الكلام لا تتحصّل من الكلمة الواحدة، بل من تعالق الكلام بعضه ببعض، ونظمه كما سيؤكد ذلك **عبد القاهر الجرجاني** (ت 474هـ) فيما بعد الذي فسّر النّصوص على معطيات النّحو ومعانيه[2].

فلا نظم في الكَلِم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وينبني بعضها على بعض ضمن سياقات خاصّة، وعلاقات تبادلية بين الكلمات لبناء الدّلالة التركيبة، ولتحصيل المعنى النّحويّ الدلالي، ويتجلّى ذلك عند **السّكاكي** (ت 626هـ) أيضا الذي عرّف النّحو بأنّه: " معرفة كيفية التّركيب فيما بين الكَلِم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها"[3].

إنّ الأقوال السّابقة تؤكّد بأنّ إخضاع الجملة العربية إلى تغييرات على مستوى ترتيب عناصرها يؤدي إلى تعديل فهم المتلقي لها بسبب تغيّر دلالاتها من تركيب إلى آخر، ونمثّل في هذا بالجملتين الآتيتين:

1-رجال كثيرون يقرأون قليلا من الكتب.

---

[1]-المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، ط2، 1979م، ج 4 ، ص 126 .

[2]-ينظر : الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمد: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، (د.ط)،(د.ت)، ص ص 410-413.

[3]-السّكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمّد بن علي : مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987م، ص 75 .

2-قليل من الكتب يقرأها رجال كثيرين [1].

إنّ معنى الجملة الأولى يختلف عن معنى الجملة الثّانية؛ فالأولى توضّح لنا أنّ كثيرا من الرّجال يقرأون بقلّة، بينما تُحيلنا الثّانية على أنّ هناك كتبا قليلة (كالقرآن الكريم) هي التي يقرأها أُنَاسٌ كثيرون، والدّاعي إلى اختلاف الدّلالة بين الجملتين، هو التّرتيب الذي ساعد-عن طريق التّقديم والتّأخير- على توجيه الدّلالة في مَسَارَيْنِ مختلفين، وعليه، فإنّ «للمعرفة الدّلالية أهمية محورية للغاية بالنّسبة لكلّ عمليات الاتّصال؛ فصيغٌ بلا معانٍ ليست لها بالنّسبة لنا أية قيمة اتّصالية»[2]، كما أنّ المفتاح الرئيس لذلك هو تلك العلاقة الرابطة بين علم الدّلالة وعلم النّحو التي تحقّق التّواصل وفق شروطه القواعدية من جهة (تأليف النص)، وشروطه المعجمية من جهة ثانية.

إنّ هذا التّعالق القويّ بين الدّلالة والنّحو كان موضوع نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، وفي هذا يقول:« وبعد أن كنّا لانشكّ في أنّ لا حال للّفظة مع صاحبتها تُعْتَبَرُ إذا أنت عزلت دلالتهما جانبا، وأيّ مساغ للشكّ في أنّ الألفاظ لا تستحقّ من حيث هي ألفاظ أن تنظّم على وجه دون وجه، ولو فرضنا أن تَنْخَلِعَ من هذه الألفاظ التي هي لغات دلالاتها لما كان شيء منها أحقّ بالتّقديم من شيء، ولا يتصور أن يجبَ فيها ترتيب ونظم»[3]، فهذه إشارة منه إلى أنّ الوظائف النّحوية المتولّدة من التراكيب، تجعلنا نعاين دلالتها بيسر، كلّما ابتعدنا قدر الإمكان عن النّظرة الأحادية التي تستشرف الدّلالة المعجمية للألفاظ بمعزل عن التّركيب، الذي يمثّل محصّلة للدّلالات الجزئية التي لا يمكن اختبارها بمعزل عن العلاقات التي تُسند إليها كوظائف داخل التركيب.

كما أنّ علم الدّلالة يهتم في التّراكيب بوظيفة كل كلمة على حدة، باحثا في صور الزيادة والحذف، وتعدد الأساليب بتعدّد الدّلالات، فالمثال المشهور في الأدبيات النّحوية يحيلنا على اختلاف هذه الجمل دلاليا نظر للزّيادة المضافة إليها:

-عَبْدُ اللهِ قَائِمٌ: إخبار عن قيام عبد الله لمن يجهل ذلك.

---

[1] _ ينظر: صلاح الدّين صالح حسنين: الدّلالة والنّحو، المرجع السّابق، الصفحة 115.

[2] _ مونيكا شقارتس، وجينيت شور: علم الدّلالة، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط1، 2016، ص31.

[3] _ عبد القاهر الجرجاني: المصدر السابق، ص 41.

-**إِنَّ عَبْدَ اللهِ قَائِمٌ**: تأكيد لمن يشكّ في قيامه.

-**إِنَّ عَبْدَ اللهِ لَقَائِمٌ**: إجابة لمن ينكر قيامه.

و لم تكن علاقة النّحو بالترّكيب حِكرا على علماء العرب فحسب، بل نجد هذا التّعالق يزداد قوة مع النّماذج التّوليدية في الدّرس اللّساني الحديث، وهو ما يظهر بشكل جليّ في (**النّموذج المعيار**)، ونموذج نظرية (**المبادئ والوسائط**)، ثم مظاهر هذا التّعالق في (**النّظرية الأدْنَوِيَة**) [1].

«**فالنظرية المعيار**» أكّدت على أهمية العلاقة بينهما، فكلّ مقولة معجمية يولّدها المكوّن التركيبي تخصص بسمات دلالية، فالفعل مثلا ينتمي دلاليا ما يناسبه، وخرق القيود الانتقائية (شومسكي، 1965، ص 110) يؤدي حتما إلى توليد جمل مقبولة تركيبا لكنّها تخرق الدّلالة، فمن خلال المقارنة بين المثالين المواليين: [2].

-جاء القاتل مسرعا.

-جاء المقتول مسرعا.

يمكننا الحكم بصحة الجملة الأولى لاحترامها للجانبين التركيبي والدلالي، ولحن الجملة الثانية (جاء المقتول مسرعا)، لأنّ الفعل (جاء) وفاعله (المقتول) لا يرتبطان دلاليا، لأنّ من سمات الفعل (جاء) السّمة الدلالية [+متحرك] وهو مالم يتوفر في (المقتول) الذي من سماته الدّلالية [-متحرك].

أما نظرية "**المبادئ والوسائط**" فقد ثمّنت هذه العلاقة عبر مقولة القالب الإعرابي الذي يتصل اتصالا وثيقا بالدلالة؛ حيث لا يمكننا تفسير الوظائف الدّلالية للعلامة الإعرابية للمركّبات الاسمية إلا في الترّكيب، وأخيرا في **النموذج الأدنوي 2011م** عندما افترض تشومسكي أن ملكة اللّغة تقتضي أربعة أنساق فرعية مستقلة لكنّها متفاعلة وهي: المعجم، النّسق الحوسبي (الجانب التركيبي)، والنّسق الحسّي الحركي، والنّسق القصدي التصوري (الدّلالي) [3]، وهو خير دليل على التّرابط القائم بين

---

[1] _ للتفصيل ينظر: محمد الغريسي: التعالق بين الدّلالة والتركيب من خلال بعض النّماذج التّوليدية، كتاب جماعي بعنوان: الدّلالة بين النّظامي والعرفاني، إشراف: عبد السّلام عيساوي، الدّار التونسية للكتاب، منوبة-تونس، ط1، 2018م، ص 52.

[2] _ محمد الغريسي: المرجع نفسه، ص 55، 56.

[3] _ محمد الغريسي: التعالق بين الدّلالة والتركيب من خلال بعض النّماذج التّوليدية، المرجع السّابق، ص 58.

الدّلالة والنّحو.

نستنتج من التّحليل السّابق بأنه يصعب على الباحث رسم حدّ فاصل بين الدّلالة والنّحو، لأن هذين العلمين متشابكان على نحو دقيق، مما يعيننا على الكشف الدّقيق للالتباس الدّلالي حال ما يحدث في تركيب ما، ويبدو للرّائي أنّه صحيح نحويا.

لإبراز ذلك سنناقش الجملة الآتية: [1].

It's too light for me to lift إِنَّهُ أخفّ بالنّسبة إليّ لكي يُرفع

نلاحظ من خلال هذا المثال المقدّم أنّ الجملة صحيحة نحويا في اللّغتين: الإنجليزية والعربية، غير أنها تظهر تحريفا دلاليا، سببه كلمة (خفيف/ light)، وهذا لأنّها لا تنسجم دلاليا مع (الفعل) الذي يتطلب شيئا ثقيلا يتطلّب جهدا لرفعه (Heavy)، ومن هنا يتّضح لنا أنّ هناك تغييرا دلاليا قد وقع في التّركيب مما أدّى إلى التباس دلاليّ، ولكن مع استبدال أحد العناصر (أخفّ) بعنصر آخر (أثقل) تصبح الجملة صحيحة دلاليا. ويزداد الأمر تعقيدا مع الصور المجازية كقولهم:

The green idea is sleeping: الفكرة الخضراء نائمة–

فهنا لا يمكننا فصل التّركيب عن الدّلالة بسبب المعنى الثّاني (المجازي)، الذي تحقّق من اجتماع وحدتين معجميتين لا تجتمعان، لأنّ الفكرة الخضراء شيء غير محسوس، ولا يملك عيونا، ومن ثمّ لا يمكن أن ينام، ولكن تمّ تشخيصه وإكسابه صفة من الصّفات الإنسانية، وهي القدرة على النّوم، وهذا انحراف دلالي جليّ أسهم التّركيب عبره إلى خلق تلك العلاقة المجازية بين عالم الفكرة وعالم الإنسان.

[1] ـ ينظر: كروس: علم الدّلالة المعجمي (السيمانطيقا المعجمية)، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق – المغرب، (د.ط)، 2014، ص 10.

وهذا النّوع من الجمل التي تُقرأ قراءتين واحدة حقيقية، وثانية مجازية، يخضع لغرض المتكلم، لأنّه المسؤول الأول عن هذا التّحريف والانتقال، وهذا يدخل تحت ما اصطلح عليه الدّارسون المحدثون (مبدأ خرق قيود الانتقاء) الذي تبناه كل من (Ducrot) وكاريل (carel)/، وباتريسيا شولز (patricia shulz) «التي تعتبر أنّ التّحول من الحقيقة إلى المجاز في اللّغة إنّما هو تصوّر ناتج عن موقعنا من اللغة»[1]، وهذا لأن السّمات الدّلالية المُسندة إلى المكوّنات المعجمية لا علاقة لها بالإحالة، وإنما يتمّ تأويلها في مستوى تصوّراتنا عن العلاقة بين اللّغة والعالم الخارجي.

رابعا: علاقة علم الدّلالة بالمعجم:

تشير الدّراسات الحديثة في مجال البحث اللّساني على أنّ المعجم هو تلك «المجموعة القارّة من التّرابطات المخزّنة التي تحصُل بين الأشكال الصّرفية أو (الصّرفيات/ المورفيمات Morphemes) ومعانيها أو استعمالاتها (أو قيمها الدلالية والتركيبية)، ويسمّى كلّ ترابط مدخلا مُعجميا» [2]. فهو بهذا المفهوم كتاب ضخم يضمّ بين دفّتيه عددا كبيرا من المفردات التي يشتقّ بعضها من بعض، لتبيان دلالاتها المعجمية ثم السّياقية، وهي جميعها ترتبط تحت مدخل معجميّ واحد، يمثّل الشّجرة القاعدية للوحدات المعجمية.

وبما أنّ المعجم يتّصل بالدّلالة، فإن نقطة لقائهما هي "الدّلالة المعجمية"؛ لأنّ معاني الألفاظ في أيّ لغة لها هذا النّوع من الدّلالة النّابع من المستوى الذهنيّ، الذي يعمل على تكييف التقاطنا لمختلف التّجارب، فتتعدّد بذلك الدّلالات وتتمايز، تبعا لتصوّرات الإنسان في مختلف مناحي حياته.

كما أنّ الدّلالة المعجمية في النّظرية التأويلية تجعل فهمها مرتبطا بقيود نلخّصها في الآتي: [3].

1-قيد اللّفظ: هو مدخل رئيسي لفهم الخصائص الصّرفية للّفظ، لأنّ لكل مفردة سمات مقولية تصريفية. (المدخل المعجميّ)

---

[1] _ ينظر تفصيل مبدأ خرق الانتقاء الدّلالي في كتاب: عبد السّلام عيساوي: الأبعاد التأويلية والمفهومية للدّلالة المعجمية، مركز النّشر الجامعي، منوبة – تونس،2009 م ، ص 26 وما بعدها.

[2] _ عبد الحميد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، ط2، م2014، ص 103- 104.

[3] _ ينظر: عبد السّلام عيساوي: الأبعاد التأويلية والمفهومية للدّلالة المعجمية، ص 110-114.

2-قيد الانتقاء: يقتضي هذا القيد مراعاة الملاءمة بين اللّفظ والمعنى من جهة، وضمّ معاني المفردات بعضها إلى بعض من جهة ثانية، حتّى نتحصل في الأخير على قراءة مفيدة للمتواليات في الجملة. (تعدّد الدّلالة بتعدّد السّياقات).

3-قيد الإدماج: دوره مراقبة الخصائص التركّيبة لكلّ مفردة، ومدى انتظامها مع غيرها من المفردات، مثال ذلك: حروف الجرّ فهي خالية من المعاني الذّاتية، ومعانيها تأخذها من الألفاظ المجاورة لها.(التّعالق الدّلالي).

يتبيّن من خلال هذه القيود أن الجانب التركّيبي في المعجم له دوره في التّدقيق الدّلالي للوحدات المعجمية، التي بدورها ستوظف في تراكيب متعدّدة تتناسب والتّصور الذّهني المراد تحقيقه. فلا يمكن أن يوجد المعنى المعجميّ بمعزل عن المعنى النّحويّ الذي سيسهم في بناء المعنى السّياقيّ، وهنا نتبيّن أنّ العلاقة بين علم الدّلالة والمعجم، هي علاقة تلازمية تكاملية، لا يمكن لأحدهما أن ينفصل عن الآخر.

وحتى نتبين صور الوحدات المعجمية وتآلفها الدّلالي على مستوى التركّيب، سنقدّم بعض الأمثلة القرآنية.

***الفرق بين الوحدتين المعجمتين (كل)، (وأجمع):** يقول تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** ﴾ **[الحجر:30]**؛ فكلا اللّفظين يحدّد مجال صفة السّجود وهيئته، غير أنّ الفارق الدّلالي بينهما يؤكد أنّ (كلّ) تدلّ على الشّمول والإحاطة، بينما (أجمع) على الضّم والاجتماع، وعليه « فـــ (كلّ) تدلّ على عموم الامتثال و(أجمعون) تدلّ على سرعة الاستجابة»[1].

***الفرق بين الوحدتين المعجميتين: (الخشية) و(الخوف):** يقول عزّ مقامه: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر:28].

جاءت (الخشية) في هذا المقام للدّلالة على عِظَمِ المَخْشِيّ وإن كان الخَاشِي قويّا، و لم يقل (إنّما يخاف) لأنّ الخوف من ضُعف الخَائِفِ وإن كان المُخَوِّفُ أمرا يسيرا لا وزن له[2]، وهنا في هذا

---

[1] _ عبد الرحمن طعمة: توظيف علم الدّلالة المعجمي في حقل التّفسير القرآني (مقاربة تحليلية في علم الدّلالة التّفسيري)، دار كنوز المعرفة، عمان- الأردن، ط1، 2018، ص 54.

[2] _ ينظر: عبد الرحمن طعمة: المرجع نفسه، ص 56.

السياق وظّفت كلمة الخشية بديلا عن (الخوف)، لأنّ العلماء متيقّنون من عظمة الله سبحانه، ويعلمون قدرته وجلاله.

***الفرق بين الوحدتين المعجمتين: (الهبوط) و(النزول):**

جاء معنى الهبوط في القرآن الكريم للدلالة على الاستقرار، بينما عبّر النّزول عن ضدّه؛ يقول عزّ وجلّ: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**) **[البقرة:61]**، وقوله أيضا: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) **[البقرة:38]**.

يلاحظ المتلقّي لهذا الخطاب بأنّ **الهبوط** مرتبط بالاستقرار؛ لأنّ المعنى انزلوا إلى الأرض للإقامة فيها، فلا يقال هبط الأرض إلاّ إذا استقر فيها، بينما **النّزول** إن لم يكن يستقرّ بالمكان [1].

إنّ تفسير المعنى في الآيات السّابقة الذّكر مُنطلقة معجميّ، ومنتهاه دلاليّ؛ فالعناصر المعجمية حدّد معناها بدءا داخل المعجم، ثم انتقل المعنى إلى السّياق، ومنه فإنّ هذا الاهتمام بمسألة التّوازن بين الدّلالة المعجمية والدّلالة السياقية يحيلنا على ذلك الرّابط القويّ بين مجال الدّلالة ومجال المعجم.

ويمكننا بذلك أن نستخلص أنّ طبيعة العلاقة بينهما، هي علاقة العموم بالخصوص (والجزء بالكلّ) فعلم الدلالة يهتم بدراسة المعنى على صعيدي المفردات والتّراكيب، بينما يّتجه المعجم إلى جزء مخصوص فقط وهو المعنى المعجمي، وعليه فإن الصّلة الوثيقة بنيهما واضحة، فلا يمكن لعلم الدّلالة دراسة المعنى إلا انطلاقا من المعاني الأساسية للكلمات التي يزوّده بها علم المعاجم، ليوسّعها بعد ذلك إلى الدّلالة النّحوية التي تتأسس على العلاقات القائمة بين الوحدات اللّسانية في الجملة، أو الدّلالة التّداولية التي تبحث في مقصدية المتكلم داخل المجتمع.

---

[1] _ ينظر: عبد الرّحمان طعمة: المرجع السّابق، ص 57.

فمثال الوحدات المعجمية التي تبني الدّلالة العامّة للجملة المثال الآتي: [1].

The cat sat on the mat: **–جلست القطّة على الوسادة**

نلاحظ من خلال هذا المثال أنّ الاختيارات المتعلّقة بالأبنية المعجمية موازية للاختيارات المتعلقة بالدّلالة، كما أنّ تآلف الوحدات المعجمية بصورة مناسبة (خضعت لنظام البنية النّحوية) أنتج لنا الدّلالة العامّة للجملة، وهذا يؤكد حصول الدّلالة بين الوحدات المعجمية التي تكون ضمن ترتيب تصنيفي في القاموس، وسرعان ما تأخذ مواقعها في الجملة، فينتقل بنا المعنى من حالة الثّبات والعموم إلى حالة الحركة والخصوص، عند اتّصال الوحدات المعجمية بعضها ببعض ضمن قواعد تركيبية لخلق بنية لسانية دالّة.

خامسا: علاقة علم الدّلالة بالأسلوبية:

إنّ أكثر الباحثين اشتغالا على توضيح هذه العلاقة عند الباحثين اللّغويين من المحدثين هو (**ستيفن أولمن**)[*] في مقالته الموسومة: (**stylistics and semantics**) سنة 1971 م، الذي بحث في هذا الرّبط القائم بين علم الدلالة وعلم الأسلوب، أو –على الأقل– أمام طبقتين من المعنى: **المعنى المعرفي، والمعنى التّعبيري.**

فعلم الدّلالة–بوصفه أحد فروع اللّسانيات العامة –يقع محور اهتمامه في بحث قضية "المعنى المعرفي" " " **Cognitive Meaning**، أمّا علم الأسلوب–بوصفه علما موازيا مستقلا–فهو يعالج قضية "المعنى التعبيري " " **Expressive Meaning**" [2].

---

[1] _ ينظر: كروس: علم الدّلالة المعجمي (السّيمانطيقا المعجمية)، المرجع السّابق، ص 39.

[*]–يعدّ **ستيفن أولمن** واحدا من أعلام الدّرس الدّلالي الحديث، كما أنّه واحد من الذين لهم إسهاماتهم في الدّرس الأسلوبي، ولد سنة 1914م، وهو من أصل مجرى، عُيّن سنة 1953م أستاذا لفقه اللّغات الرّومانسية في جامعة ليذر، وفي سنة 1964 أصبح أستاذا للّغة الفرنسية وفقه اللّغات الرّومانسية، ورئيسا لقسم اللغة الفرنسية وآدابها، ومنذ سنة 1968م عمل أستاذا في اللغات الرومانسية في جامعة أكسفورد.

[2] _ ستيفن أولمن: الأسلوبية وعلم الدّلالة، ترجمة وتعليق: محي الدين محسب، دار الهدى للنشر، 2001، ص 10.

يطرح هذا النّص إشكاليتين جوهريتين، فأمّا **الأولى** منهما، فتتصل باستقلالية أو اتّصال علم الدّلالة بعلم الأسلوب، من منظور أنّ كلّ قسم من أقسام اللّسانيات يوازي قطاعا من قطاعات علم الأسلوب، فنتج عن ذلك مصطلحات مزجية من مثل: الأسلوبية الصّوتية (Phonostylistics) والأسلوبية الصّرفية (Morphostylistics)، والأسلوبية التركيبية (Syntacticostylistics) وهنا نتساءل هل توجد أسلوبية دلالية؟ وأمّا **الثّانية** فتتمثل في: ما طبيعة العلاقة القائمة بين المعنى المعرفي والمعنى التّعبيري(*) ؟

حاول (ستيفن أولمن) الإجابة عن هذين السّؤالين في مقالته السّابقة عبر جملة من الأطروحات التي عالجها في مقالته، ويمكن تلخيصها في النّقاط الآتية:

1-علاقة الأسلوبية باللّسانيات: يؤكد هذا اللّساني أنّ الأسلوبية ليست فرعا من اللّسانيات « بل هي علم موازٍ يقوم بفحص الظواهر نفسها من وجهة نظره الخاصّة»[1]. وهذه إشارة منه إلى ان التّحليل اللّساني القائم على المستويات الأربعة المعروفة، هو النّهج ذاته الذي تعتمده الأسلوبية لأنّها تكشف عن البنية التّحليلية ذاتها.

-المستوى الصّوتي: يعدّ المكوّن الصّوتي قاسما مشتركا بين علم الدّلالة والأسلوبية، فكلاهما يبحث في المحاكاة، والرّموز الصوتية وتأثيرها دلاليا على نظام الخطاب، خصوصا تلك التأثيرات الجمالية الصّوتية التي نجدها في الشّعر مثلا. ولنلاحظ معا هذا الانسجام الصّوتي في مقطع من **أنشودة المطر** لبدر شاكر السّياب يقول فيها:

أنشودة المطر

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ

أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ

عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ

(*)-فكرة "**المعنى التّعبيري**" طرحها شارل بالي بديلا عن فكرة **المعنى الشّعوري** أو الوجداني؛ لأنّ الأول أوسع مفهوميا من المصطلحين الأخيرين.

(1) _ ستيفن أولمن: الأسلوبية وعلم الدّلالة، المرجع السّابق، ص 22.

وتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ... كَالأَقْمَارِ فِي نَهَرْ...

*** * ***

أنشودة المطر

مطر..

مطر..

–المستوى الصّرفي: يقول ستيفن أولمن: «إنّ وجود الكلمات المركّبة، والمشتقات الشّفافة الصّرفية أمر وثيق الصّلة بالناحية الأسلوبية، ويرجع ذلك–بشكل رئيس–إلى الإيحاءات الشّعورية (التّحقيرية، المزاجية...الخ) لبعض هذه الفعاليات»[1]. ويمكن للمتلقّي أن يلمس ذلك في النّصوص الشّعرية التي تمتلئ بالظلال الإيحائية؛ حيث تتكرّر الكلمة في صورتين مختلفتين من أصل اشتقاقي واحد، وتكون لكلّ منهما دلالتها الخاصّة، مثال ذلك هذا السّطر الشعري لــ إليوت Eliot إذ يقول:

And time yet for hundred indecisions

And for a hundred visions and Revisions

وترجمته:

ومازال في الوقت متّسع لمائة تردد

ولمائة نظرة... وإعادة نظر

–المستوى الدّلالي: تتقاطع الدّلالة بالأسلوبية عندما تخرج الكلمة من معناها الأساسي إلى معناها المحوّل، فتنبثق في ذلك دلالات هامشية تعطي النّص خلودا على رأي بروست. وهذا الخلود لا ينبثق إلا من تلك الصّور الاستعارية المدهشة التي يبدعها المبدعون، عن طريق الكثافة الدّلالية التي تحويها، ولنا في مقطع لقصيدة "**بودلير**" الموسومة "كآبة" (spleen) يقول: [2].

---

[1] _ ستيفن أولمان: المرجع السابق، ص 26.

[2] _ المرجع نفسه، ص 29.

أنا مقبرة يمقتها القمر

فيها تزحف الأفاعي مثل النّدامات،

دائما تتغذّى على هؤلاء الموتى الذين أحببتهم كثيرًا

فـــ"بودلير" يقدّم صورة استعارية مدهشة، فقد شبّه تجربة فيزيقية محسوسة-بشكل مؤلم- بعملية نفسية مجرّدة، فخلق بذلك ظلالا إيحائية "لصناعة أنشودة رمادية" ،حيث يلتقي الغموض والوضوح على رأي "فجرلين" " varlaine" في كتابه (فنّ الشّعر) " Art poétique"[1].

2-أنواع المعنى: يعتمد "ستيفن أولمان" على تقسيمه الثّنائي للمعنى، معرفي وتعبيري، غير أنّه لم يوضّح النظر في هذه المسألة بشكل دقيق، ذلك أنّ المعنى المعرفي هو المعنى المعجمي الثابت المصطلح عليه ضمن جماعة لغوية، وهو-عنده -ليس بالأهمية التي يحظى بها النوع الثاني من المعنى وهو "المعنى التعبيري" وفي ذلك يقول: «إذن سوف أحاول داخل هذا الإطار اللّغوي أن أحدّد القيم « التّعبيرية» التي يمكن أن تكتسبها عناصر دلالية معيّنة: أي هذه العناصر التي تلوّن المعنى المعرفي للكلمة، أو تعمّق أثره، أو تقوّي تأثيره»[2].

في ظلّ هذا التّصور، يمكننا التّمييز بين نوعين من المعنى؛ الأول منهما هو «**المعنى المعرفي الإشاري**» وهو قطعي يتميّز بالثبات، ويخضع لمقياس الاتّفاق، بينما لا يتّبع «**المعنى التّعبيري**» منحىً مشابها لأنه استعمال شعوري يقابل عنده مصطلح «الدّلالات التضمّنية » (Connotations)، أو مصطلح « الظّلال الايحائية» (Overtones)، وهي يمكن أن تتولّد عن الاسم، أو تتولّد عن المعنى، أو تلك الظلال التي تحيط بالكلمة بوصفها كلاّ متكاملا.

فالأسماء الأسطورية ذات محمولات إيحائية مثل: (هيلانة، هيكتور، مينالوس، إينياس، أدونيس)، وتوجد بالموازاة ظلال إيحائية ناتجة عن المعنى، إذ يقتصر بعض هذه المعاني على سياق أو موقف معيّن، فكلمات مثل "مخدّرات" "التّمييز العنصري"، "المجابهة"، "الإرهاب"[3]، فمعانيها عامّة

---

[1] _ ينظر: ستيفن أولمان: المرجع السابق ، ص 33.

[2] _ المرجع نفسه، ص 23.

[3] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 37.

رائجة بين المجتمعات، وهي ذات دلالات حافّة قابلة للتغير من مجتمع إلى آخر، فمفهوم (الانتفاضة) عند العرب المسلمين ليس هو نفسه المفهوم عند الأجانب، أو عند اليهود الذين يحتلّون فلسطين، أمّا الظلال التي تحيط بالكلمة فهي متّصلة بعدّة طرق تكون صوتية، أو معجمية، أو نحوية.

نمثّل للنّموذج الصّوتي بما يسمّى "النبرة الصّوتية" Emotive accent في الفرنسية، وهي التي تقع على المقطع الأوّل من الكلمات التي تبدأ بصامت مثل: (**C'est formidable**!) .

أمّا الجانب المُعجمي فيتحدّد بالاختيارات المدروسة للمبدع عند توظيفه للكلمة، إذ يجب عليه وضع اللّفظ المشتق المناسب بغاية التّأثير الشّعوري، وأما الجانب النّحوي فيتّصل بالتركيب، وتلك الترتيبات الخاصّة في الجمل من أجل تقوية الظلال الدّلالية الإيحائية، التي تقع في منطقة الوسط بين اللّسانيات وعلم الأسلوب، وقد عبّر (أولمان) عن ذلك بقوله: «وأنّه يمكن النّظر إليه على أنّه يشبه منطقة نفوذ مشتركة لكلا العلمين»[1].

سادسا: علاقة علم الدّلالة بالبلاغة:

يرتبط علم الدّلالة ارتبطا وثيقا بعلم البلاغة، ومردّ هذا الارتباط هو الانتقال من المعنى المنطقي إلى المعنى الهامشي المستمدّ من الاستعارات والكنايات والصّور المجازية المختلفة، ومن المعنى الظّاهر إلى المعنى الخفيّ الذي يتشكّل بالتّخييل والمعاني الثواني، فيقدّم لنا صورة جمالية بديعة هي من موضوعات علم البيان وهو أوثق فروع البلاغة اتّصالا بعلم الدّلالة.

ومن المسائل المشتركة التي تقاطع فيها كل من البلاغيين والدّلالين، هي البحث في ثنائية اللّفظ والمعنى، وتقسيم الألفاظ في دلالاتها على المعاني، وأنواع الدّلالات وأثر السّياق في بناء المعنى، فضلا الحقيقة والمجاز، ومعنى المعنى وغيرها.

فالمجاز العقلي مثلا يعدّ عاملا مؤثرا في إظهار الدّلالات الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم واعتماد علماء العربية عليه في كلّ شاردة وواردة، ممّا أعطى لهذه اللّغة الكريمة تطوّرا واسعا في

---

[1] _ ستيفن أولمن، المرجع السّابق، ص 41.

دلالات الكلمات[1]، ولتوضيح ذلك نمثل بقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)** [القارعة: 6-7]

يلاحظ المتلقي لهذا الخطاب أن كلمة (راضية) جاءت في صورة اسم الفاعل، والأصل فيها أن تكون (مَرْضِية) بإسنادها لاسم المفعول؛ فهذا العدول الاشتقاقي من اسم المفعول إلى اسم الفاعل خلق عدولا دلاليا «ذلك أنّ العِيشَة إنّما تُوصف إن كانت في موضع الرِّضَا بأنّها عيشة مرضية أي أنّها مَرْضِيٌ عنها، ووصفها في هذه الآية وفي مثلها بأنها (راضية) يراد بها أنّها كثيرة الرِّضَا»[2].

فهنا جعلت (العِيشة) وكأنّها مشخصة في صورة إنسان يرضى بنعيمه، ويسعد بأعماله التي ارتقت به في الجنّات العُلى.

إنّ المجاز العقلي من الصّور الجمالية التي تخرجنا من الدّلالة الحقيقية إلى الدّلالة التخييلية، ممّا يُضفي طابعا جماليا للخطاب، كما أنّه يجعل دلالة اللّفظ تتطور بتطوّر استعمالاته، ولنا في ذلك صورة جمالية أخرى يقول عزّ مقامه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) [غافر: 61]**

شُخّص النّهار في قوله تعالى: **(وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)** عن طريق استخدام الاسم بدل الفعل، مع أن المعنى الحقيقي (لتبصروا فيه) في مقابل (لتسكنوا فيه) وهو اللّيل؛ لقد وُظّف المجاز توظيفا جماليا بالعدول من الحقيقة إلى المجاز العقلي، فجعل النّهار مبصرا، والنّهار لا يبصر إنما النّاس هم الذين يُبصرون، فوضع النّهار مقام الإنسان، وأعْلَى من شأنه بقرينة وهي حاسّة البصر، وفي هذا انتقال من دلالة حقيقية إلى دلالة مجازية تستدعي تفكيرا وتأمّلا وإثارة للخيال.

وأما الاستعارة: فلها دور في التّعدد الدلالي فهي مثلها مثل المجاز المرسل، فهما وسيلتان مهمّتان لخلق معانٍ جديدة، لهذا اعتبر "بول ريكور" – من منظور صابر الحباشة- أنّ: «الاشتراك الدّلالي يمثّل القاعدة التي تقوم على أساسها ظاهرة نقل المعنى المخصوصة لما ندعوه «استعارة»، إنّ

---

[1] _ ينظر: جاسم محمد عبد العبّود: مصطلحات الدّلالة العربية (دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2007، ص 204.

[2] _ جاسم محمد عبد العبود: المرجع نفسه، ص 204.

الاستعارة هي أكثر من أن تكون وجها بيانيا، ثمّة "ما هو استعاري" أساسيّ يقود عملية تكوين الحقول الدّلالية» [1].

تحيلنا هذه المقولة على أهمية الاستعارة في مدّ فضاءات دلالية جديدة للتّعبير في الخطاب، فهي تخرجنا من عالم الحقيقة والواقع المحدود إلى واقع متجدّد يسير نحو اللاّمتناهي، ولنا في الخطاب القرآني أمثلة كثيرة خصوصا عند أبي عبيدة الذي يزخر كتابه "مجاز القرآن" بفيض من المجازات والاستعارات لا يسع المقام لذكرها، فدور الاستعارة بذلك هو تغيير معنى الكلمة تنتمي إلى مجال دلاليّ معيّن، عن طريق إخفاء ذلك المعنى القديم وإضفاء معنى جديد على تلك الكلمة، وانصياع اللّفظ باستعارته الجديدة إلى حقل دلاليّ جديد، نمثل لذلك بالخطاطة الآتية:[*]

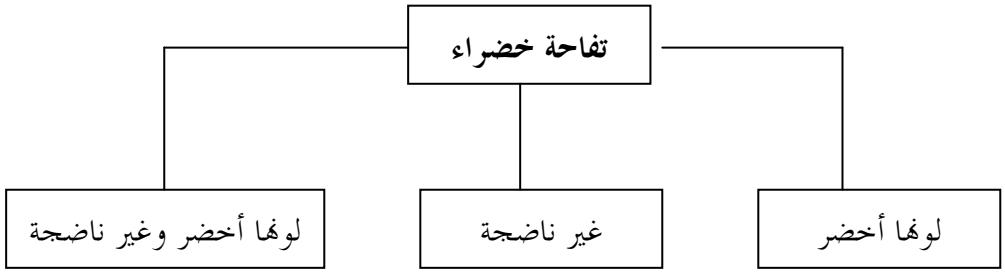

بالنّظر إلى المثال المدوّن أعلاه (تفاحة خضراء) يجعلنا نقف عند ثلاثة دلالات مختلفة لبناء لغوي واحد، فالوصف (أخضر/خضراء) أحالنا تارة على اللّون الأخضر، وأحالنا أخرى على (عدم النّضج)، وفي الحالة الثالثة على أنّ هذه التّفاحة قد يكون لونها أخضرا، وهي غير ناضجة في الآن ذاته، وهذا لون من التّوسع الدّلالي للكلمة الواحدة، الذي جعل مجموع استعمالاتها مفتوحا.

والاستعارة عند المحدثين أنواع: الاستعارات الاصطلاحية، واستعارات الصّور، والاستعارات

---

[1]_Paul Ricœur, Mythe, L'interprétation philosophique, article in Encyclopaedia universalis

نقلا عن: صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، دار مكتبة الحامد للنشر، عمان، ط1، 2010، ص 68.

[*]-ينظر: صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، ص 67.

الأجناسية[1]، **فاستعارة الصّور** تربط بين صورة واحدة وأخرى. كقولنا: **غصن البان** للقِوام المَمْشُوق عند المرأة taille de guepe وفي هذا يقول الشّاعر:

أُعَانِقُ **غُصْنَ البَانِ** مِـــنْ لِـــين قَـــدِّهَا وأَجْنِـــي جَنَـــى الـــوَرْدِ مِـــنْ وجناتهـــا.

أما **الاستعارات الأجناسية** فتسمح بإقامة علاقة بين بنية مخصوصة يسهل ضبطها، وبنية أجناسية [2]، وهي تستدعي قدرتنا على الاستدلال كقولنا: الصّحو بعد المطر، اللّعب بالنّار.

وقد أكّد أرسطو[*] على سمة هامّة في الاستعارة، وهي تحويل إمّا من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، حيث يحدث التّحويل في الاسم المجازيّ، ويتغير معناه عبر أصناف عديدة. وقد أطلق عليها وصف (اللّغة الملغّزة) [3]؛ تلك اللّغة التي تتألف من مجازات واستعارات، وتخرج باللّغة من حدود الواقع إلى حدود الخيال الذي لا ينتهي، ووحده من امتلك موهبة بصرية بإمكانه أن يدرك وجوه الشّبه في أشياء غير متشابهة، وهذه آية العبقرية، وجودة البراعة ذلك لأنّ الاستعارة استعمال تحسيني (Figure) على رأي "نيروب" (Nyrob) يقوم على المشابهة [4]، كما تقوم الاستعارة على نوع من التّناسب (Analogie)بين طرفين، أحدهما الأصل الذي استعير منه، والآخر الشيء المستعار.

والاستعارة علاقة قوية بالمشترك الدلالي، ذلك أنّ التّحويل الاستعاري له دور في توجيه المعنى في سياق علم الدّلالة، وهذا ما أراد المفسّرون توضيحه، عند الوقوف على بعض الظواهر البلاغية والدّلالية في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الكهف:77]

فقد أُسند فعل الإرادة (**يريد**) إلى (**الجدار**) إلى غير العاقل، وهو من أفعال العقلاء على سبيل

---

[1] ـ ينظر: صابر الحباشة، المرجع السابق ، ص 73-74.

[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 73.

[*]- للتوسع ينظر: أرسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، ص 185، يراجع.

[3] ـ ينظر: لخذاري سعد: الدرس البلاغي العربي بين السيميائيات وتحليل الخطاب، منشورات كلمة –تونس، ومنشورات دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر العاصمة، ط1، 2017م، ص 25. وأرسطو، المصدر السّابق، ص 189.

[4] ـ ينظر: لخذاري سعيد: المرجع نفسه، ص 101.

الاستعارة، وفي هذا يقول ابن كثير أنّ «إسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة، فإنّ الإرادة في المحدثات بمعنى الميل. والانقضاض هو: السّقوط» [1]، فهنا (يريد) ليست من باب الإرادة الحقيقة، لأنّ الحائط كان متهيئا قَبْلاً للسّقوط، وهذا من باب مشابهة صورة ذلك الجدار مع صورة أفعال المُريدين إرادة حقيقة.

ومنه «فالنص القرآنيّ سمح لا بتوليد استعارة جديدة واشتقاقها من استعمال معنى غير سابق، ولكنه سمح بمزيد إحكام تنظيم هذا المعنى الذي يوجد له نظائر في الشّعر» [2]، فهذا ضرب من الاشتراك الدلالي الذي يقوم على توسيع الاستعمال؛ حيث خرج الفعل **[يريد]** من مجال دلالته على إسناده لفاعل عاقل، إلى مجال دلالته على إسناده لفاعل غير عاقل، على الرّغم من أن الدّلالة الاشتراكية يجب أن تكون بالتّساوي بين المعاني (أي أن تكون المعاني على نسق واحد حقيقية أو مجازية) على خلاف الدّلالة الاستعارية الناشئة عن نقل مجازي، وهنا ترسم العلاقة الوثيقة بين البلاغة وعلم الدلالة رغم الحدود التي قد تظهر بينهما.

أما إذا انتقلنا إلى **الكناية** وجدناها ذات علاقة وثيقة بما يصطلح عليه علماء الدّلالة بثنائية الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية إذ «تعد الدّلالة الحقيقية أو المعنى الأوّل للفظ أو للجملة ما يقابل الدلالة المركزية، وما يتعدّى هذه الدّلالة إلى أخرى هي الدّلالة الهامشية» [3]، وهذه تسميات اصطلاحية تتحدّث عمّا عُرف في تراثنا العربيّ بالدّلالة الظاهرة، وما وراء المعنى الظاهر، أو ما يسمى (معنى المعنى) في الاصطلاح البلاغي، وهذا ما أكّد عليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: « الكلام على ضربين: ضَرْبٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن زيد بالخروج على الحقيقة: خرج زيد (...) وضَرْبٌ أنت لا تصل إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن بدلالة اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى

---

[1] _ ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل (ت770هـ): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999م، ج5، ص 184.

[2] _ صابر الحباشة: تحليل المعنى، المرجع السابق، ص 81، 82.

[3] _جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدّلالة العربية، الرجع السّابق، ص 208.

الغرض، ومدار هذا الأمر الكناية والاستعارة والتّمثيل»[1].

إنّ مهمّة علم الدّلالة تسير في خطّ عبد القاهر الجرجاني(ت471ه)، لأنها لا تبحث عن المعنى الظاهر من اللّفظ، بل تتعدّاه إلى البحث عن المعنى الثاوي في تخوم الكلمات، وهذا جوهر الكناية أيضا، ما دامت تمثّل بنية ثنائية في الكلام؛ تقف عند المعنى الأصليّ، وكذا المعنى المجازي الخفيّ الذي يُكشف بطريق القرائن، ويبقى السّياق هو الذي يساعد العقل على الوصول إلى هذا المعنى، ونسوق هنا أمثلة ذكرها عبد القاهر الجرجاني [2] منها:

-**هو طويل النّجاد** = طويل القامة.

-**كثير رماد القِدر**= كثير القرى (الكرم).

-**نؤوم الضّحى**= امرأة مترفة مخدومة.

وقد وضّح جاكبسون في تفسيره للاستعمال الكنائي بأنّه يُبرز المدلول، بينما تبرز الاستعارة الدّال؛ ذلك لأنّ هدف الكناية هو المعنى الثاني، لأن الصّيغة الأوّلية (**دال 1+مدلول 1**) هي التي تصبح دالاّ لمدلول ثانٍ هو المقصود (**دال1+ مدلول2**) [3]، وما يجعل الكناية أقرب إلى الواقع هو قابلية معناها المباشر لمعناها المتوصّل إليه.

فقولنا: (**فتاة نؤوم الضحى**) هو دالّ سطحي يوقفنا على مدلول أوّلي، وهو نومها حتى ترتفع الشّمس إلى السّماء، وهذا بدوره يحيلنا على مدلول ثانٍ، وهو وصفها **بالتّرف والنّعومة**؛ و لم يتحقّق ذلك إلاّ بإسناد الكلام بعضه إلى بعض، فتحقّق المعنى الظّاهر بدءا، ثم المعنى الباطن ثانيا، وهو ما أطلق عليه تشومسكي على التّوالي مصطلحي :(البنية السّطحية والبنية العميقة).

---

[1] _ ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص 66.

[2] _ ينظر: عبد القاهر، المصدر نفسه، ص 66.

[3] _ ينظر: لخذاري سعد: الدّرس البلاغي العربي، ص 109.

سابعا: علاقة علم الدّلالة بالتّداولية:

أوّلا: التداولية (Pragmatique):

لقد عرف مصطلح التّداولية مدلولات عدّة تقلّب بينها منذ ظهوره لأوّل مّرة، فهو مشتق من الأصل اليوناني (Pragma) الذي يعني العمل (Action)، ومنه اشتقت الصّفة اليونانية (Pragmatikos) «التي تحيل على كلّ ما يتعلق بمعاني العمل» [1]، هذا يعني أنّ التّداولية مجالها هو السّياق لأنّها «تختص باستخدام اللّغة من وجهة نظر وظيفية، بمعنى أنّها تحاول تفسير أوجه الّتراكيب اللّغوية بالإشارة إلى عوامل لغوية »[2] ، أي دراسة اللغة في الاستعمال (In use).

وتعود ريادة هذا العلم إلى الثلاثيّ أوستن (Austin)، وسيرل (Searle) وبول غرايس (Grice) الذين اهتموا بطريقة توصيل معاني اللّغة الإنسانية، من خلال إبلاغ المرسل لرسالته إلى المستقبل الذي يفسّرها، وهذا عبر قناة تواصلية تضعها اللغة، لهذا ارتكز هذا العلم على دراسته المعنى في الألفاظ اللّغوية عند مستخدميها ومفسّريها، أي المعنى المتضمّن والمقصود من القول.

فهو بذلك علم يهتم ويبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم (Speaker intentions)، أو هو دراسة المعنى عند المتكلّم (Speaker Meaning).

فحيث يكون التّركيز على (المُرسِل) وطرائقه في توصيل الرّسالة إلى متلقّيه، تكون التّداولية ذات مفهوم يرتبط بـــ «دراسة المعنى التّواصلي، أو معنى المرسِل، في كيفية قدرته على إفهام المرسَل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله »[3]، أمّا إذا تعلّق الأمر بالرّسالة في حدّ ذاتها وما تحمله من أبعاد نفسية واجتماعية، فهي تعرّف بأنّها: «دراسة اللّغة بوصفها ظاهرة خطابية وتوصيلية واجتماعية في نفس الوقت» [4]، وهذا تأكيد على أنّ وظائف اللّغة من المبادئ الأساسية في المعالجة التداولية، لأنّ

---

[1] _ ينظر: حكيمة بوقرومة: التّداولية وعلاقتها بعلم الدّلالة والسّيميائية، أعمال النّدوة الموسومة: الدلالة النظريات والتطبيقات، الشركة التونسية للنشر، ط1، 2015، ص 565.

[2]_Levinson, Stephen. Pragmatics .Cambridge University, Press, 1933, pp5-7.

[3]–عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م،ص 22.

[4]–فيليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر، اللاّذقية، سورية، ط1، 2007م، ص19.

اللّغة ليست بمعزل عما يحيطها من سياقات مختلفة.

ويؤّكد الفكرة الأخيرة ما تقدّمت به الموسوعة الكونية (Encyclopaedia Univarsals) التي تُعرّف التداولية بأنّها: «الدّراسة التي تُعنى باستعمال اللّغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التّعابير الرّمزية والسّياقات المرجعية والمقامية والحَدَثية والبشرية»[1]. هذا يعني أنّ هذا المنهج يرجع في تقييمه وتحليله للظواهر اللّغوية إلى كلّ الملابسات المساعدة على فهمها فهما دقيقا بما في ذلك تأثير المواقف والمقامات المختلفة في توجيه الدّلالة بحسب مستلزمات الخطاب.

فالتّداولية إذن «تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوبا ما في فهمه و إدراكه، وتهتم بكيفية استخدام اللّغة، وبيان الأشكال اللّسانية التي لا يتحدّد معناها إلّا بالاستعمال »[2]، يتحدّد من خلال هذا الطّرح الفرق القائم بين التّداولية وعلم الدّلالة؛ فإذا كانا يتشابهان في دراستيهما للمعنى، فهما يختلفان في الوقوف عند طبيعة هذا الأخير، ذلك أنّ «المعنى السّيمانتيكي هو المعنى الحرفيّ للكلمات التي تتكوّن منها الجملة، أمّا المعنى البراغماتي للعبارة هو ما قصده المتكلم أو الكاتب في المقام الذي قيلت في العبارة»[3]. فهذا الحقل المعرفيّ إذن لا يهتم فقط بدلالة المنطوق، بل يهتمّ أيضا بالمعنى الضّمني المقصود بين طرفيْ العملية التّخاطبية (المتكلّم/ السّامع).

ثانيا: بين علم الدّلالة وعلم التّداول:

هناك من الدّارسين من وسّع من مفهوم (المعنى) المدروس في الحقل التّداولي، وفي هذا يقول أحمد شفيق الخطيب: «ينبغي أن يشمل المحتوى السّاخر (Ironic)، والمجازي (الاستعاري) (Metaphoric) والضّمني أي الخاص بالإيحاءات غير المباشرة (implicit) للاتّصال والكامن في القول المنطوق والمكتوب»[4]، نفهم من هذه المقولة أن المعنى التّداولي هو أعمّ من المعنى الدّلالي؛ لأنّ صناعة المعنى تتمثل في تداول اللّغة بين متكلّم وسامع في سياق مقاميّ معيّن (مادّي، نفسي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما، لأنّ التداولية تهتم بالإجابة عن الأسئلة

---

(1)–فيليب بلانشيه : المرجع السابق، ص 18.

(2) _فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التّداولية، تر: سعيد علّوش، مركز الانماء القومي، (د.ط)، ص 8.

(3) _ شاهر الحسن: علم الدّلالة، السّمانتيكية والبراغماتية في اللّغة العربية، دار الفكر، عمّان، ط1، 2001، ص 161.

(4) _ أحمد شفيق الخطيب: قراءات في علم اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص 129.

الآتية: من المتكلّم؟ من المخاطب؟ ماذا نفعل عندما نتكلّم؟ كيف يمكن أن يخالف كلامنا مقاصدنا؟ وكي تجيب عن هذه الأسئلة فهي تهتم بالبعد الإنجازي للكلام.

فضلا عن ذلك قد يقصد المتكلم بتلفظه للعبارة أن ينشئ فعل المدح أو القدم أو الاتفاق، وهذا يطلق عليه أوستن **قوة فعل الكلام**؛ وقد تكون العبارة التي تلفّظ بها المتكلّم دالّة على إنجاز ما يلزم عن إجابة مخاطبة، مثلا قد يكون فعل الإنجاز دالاّ على تهديد مخاطبة أو الترفيه عنه أو أمره بأن يقوم بفعل شيء ما، وهذا يسمّيه أوستن **لازم فعل الكلام**[1].

فعندما أقول جملة (**سأطفئ نور المصباح**) فهذه دعوة غير مباشرة من ابنتي أن توقف نشاطها كي تنام، فالجملة تحمل تهديدا وتخويفا خفّيا يمكن استنتاجه من الفعل الكلامي المتلفّظ، وعليه يمكننا النظر إلى دلالة الجملة، ومعاني الألفاظ المستعملة من جهة الاستعمال المناسب لها في الخطاب.

إذن ترتكز التداولية على إيضاح معان تضاف إلى المعاني المعجمية والمعاني النّحوية، يمكن تلخيصها في الآتي: [2].

-قد ينتج المعنى التّداولي عن خرق في قيود الاختيار، وهو يصيب المتلقّي بنوع من الدّهشة والاستحسان.

-قد ينتج المعنى التداولي من خلال الموقف الاتصالي بين المتكلم والمتلقي (دور السّياق الخارجي في توضيح المعنى).

ويسمّى "محمّد محمّد يونس علي" التّداولية بعلم التّخاطب، وقد فرّق بينها وبين علم الدّلالة وفق النّقاط الآتية:[3].

-علم الدّلالة يدرس المعنى، بينما علم التّخاطب يدرس الاستعمال. أي أنّ للمعنى ثلاثة

---

[1] _ ينظر: راث كيمبسون: نظرية علم الدّلالة (السيمانطيقا)، تر: عبد القادر قنيني، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، ودار الأمان-الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2009، ص 76.

[2] _ صلاح الدين صالح حسنين: الدّلالة والنّحو، 2005م، ص 193 وما بعدها.

[3] _محمّد محمّد يونس علي: مقدّمة في علميْ الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 15-14.

مستويات: المعنى اللّغوي وهو المعنى العام، ثم المعنى السّياقي وهو معنى الكلام، وهما من اهتمامات علم الدّلالة، ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوة (Force) وهو المعنى الذي يقصده المتكلّم، وهذا الأخير هو مجال البحث التّداولي.

-معاني الجمل هي موضوع علم الدّلالة لأنها كيان لغوي مجرّد، بينما تدرس التّداولية معاني (القَوْلَات) أي الكلام الذي هو موضوع علم التخاطب.

- علم الدّلالة يهتم بالمعاني اللّغوية بعدّها معانٍ وضعية تُفهم من المفردات أو التّراكيب (غير مقيّدة بعناصر خارج اللغة)، بينما تهتم التّداولية بمقاصد المتكلّمين ومن ثمّ تهتم بالسّياقات التي قيل فيها الكلام، وبنية الخطاب اللّغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمّى بنظرية أفعال الكلام (speech act Theory). وهي متبناة من طرف أوستين في كتابه " How to do things with words" إذ نراه يلخّص أهمّ المضامين المعرفية التي تجعل من الكلام **فعلا إنجازيا**، وهذا المنطلق الجديد جاء رفضا لجدلية "الصّح والخطأ" التي كانت ولا زالت نمطا مثاليا في تحليل الجمل في البحوث اللغوية.

وإذا أخذنا التّفريق السّابق القائم على التّمييز بين المنظورين الدّلالي والتّداولي نتوصّل إلى القول بأنّ التداولية هي علم يهتمّ بـــ «دراسة كلّ مظاهر المعنى "Aspects Meaning" من غير فصلها عن نظرية الدّلالة»؛ هذا يعني أنّ المعنى البراغماتي يختص بما وراء المعنى السّيمانتيكي من وظائف الاتصال اللّغوي، ليشمل في ذلك الاستقراء والاستنتاج، والتّضمين، والقصد، والاتّجاهات النفسية والاجتماعية على اختلاف أنواعها ومشاربها، ولهذا أصبح استحضار المقام أمرا ضروريا في تحليل الخطابات، باعتباره مرجعية ثقافية مهمّة بكل عناصرها المادّية والمعنوية والتّاريخية والدّينية والاجتماعية والنّفسية وغيرها.

ثامنا: علاقة علم الدّلالة بالتّرجمة:

تقوم "التّرجمة" كفّن وعلم قائم بذاته على نقل أفكار لغة ما إلى لغة أخرى توازيها أو تتجاوزها، وهذا وفق رؤية المترجِم الذي سيحافظ عند النّقل على الأبعاد الفكرية والنّفسية والعَقَدية والاجتماعية والسّياسية التي يعيد صياغتها عند انتقاله من اللّغة الأم (الأصل) إلى اللّغة الهدف (المُتَرْجَمِ

إليها) أو العكس.

إن مهمّة المترجِم تزداد صعوبتها عند نقله من لسان إلى لسان آخر- عند المستوى الدّلالي؛ ذلك أنّه من باب تيسير النّقل الحفاظ على المعاني الواردة في النّص، ولا يمكن للنّص المترجَم أن يحقّق الإفادة دون اعتبار للدّلالة، التي قد تخرج من حدود الحقيقة نحو المجاز، فتزداد الصّعوبة مع الإيحاءات والظِلال الخاصّة التي تعتري الوحدات اللّسانية، لأنّه كلّما ارتقت اللّغة في سُلّمِ الأدبية كانت التّرجمة أَصْعَبَ، بينما تتيسّر إذا تعلّقت بالعلوم الدّقيقة أو التّطبيقية، التي يبتعد فيها المترجِم عن الذّاتية متّبعا الترجمة الآلية التي تبتعد عن المجازات، والتي كثيرا ما يصعب توصيفها في مجال الأدب على وجه الخصوص.

أولا: التّرجمة العلمية:

تعدّ الترجمة العلمية من أصعب أشكال التّرجمة، فهي لا تحتاج إلى المعجم فقط لجمع المادّة المعجمية كما يحدث مع النّصوص العادية الأخرى، بل يتطلّب الأمر مهارات ومقوّمات خاصّة وجب توفّرها لدى المترجِم كي يكون ناجحا في الحفاظ على المفهوم الاصطلاحيّ، الذي يُراد ترجمته من لغة إلى أخرى، وهذه المهارات يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1-معرفة المترجم بمادة الموضوع الذي يتعامل معه: إنّ معنى الكلمة في مجال الفنّ أو الهندسة أو الطبّ أو الفيزياء ليس هو ذاته معناها الاعتيادي في المعاجم، ومنه فإنه من واجب المترجم تحرّي الدّقة للوصول إلى المفهوم الدّقيق المراد.

مثال ذلك كلمة (Blow out)[1]، التي تعني في مفهومها المعجمي في اللّغة الإنجليزية (إطفاء) بينما عندما تضاف لها كلمة أخرى وتصبح "Blow out Pressure" صار معناها (ضغط تصريف البخار) وليس (ضغط الإطفاء)، فهنا على المترجم أن يكون ملمّا بعلم الدّلالة، وعارفا لخصوصيات اللّفظ المستعمل في مجال من المجالات من حيث تغيّره الدّلالي أو تطوّره تبعا لاصطلاحات العلماء في ذاك المجال، ذلك لأنّ حفاظه على المعنى المعجمي وحسب، سيؤدّي لامحالة إلى خلل شنيع، وعليه،

[1] _ ينظر: صلاح حامد إسماعيل: أصول التّرجمة العربية والإنجليزية النّظرية والتّطبيق، دار نهضة مصر-القاهرة، ط1، 2006م، ص 33-34.

وجب تقصّي اختلافات المعنى، لكي يصبح هذا المصطلح أو النّص العلميّ المترجم متجانسا وغير متنافرٍ معنىً ومفهومًا.

2-**التّداخلات اللّفظية والدّلالية:** يفترض بالمترجم أن يحرص على اختيار مفردات ذات صلة بالموضوع المترجَم، مع وجوب انتباهه لتلك التّداخلات اللّفظية التي قد تدفع بالمترجِم إلى استعمال مفردات أخرى لا تفي بالغرض المطلوب، فتؤدّي بذلك إلى اختلال المعنى لدى متلقّي النّص، لهذا على المترجم من اللغة الإنجليزية مثلا إلى اللغة العربية أن يراعي التّغير الدّلالي للكلمة المراد استعمالها في التّرجمة.

فلو نأخذ كلمة (**cascade**) فهي تعني (شلاّل) في معناها العام، ولكن عند ترجمتها في العلوم البيولوجية مثلا، فهي تخرج عن إطارها الدّلالي الذي عُرفت به إلى دلالتها الاصطلاحية على «تسلسل العمليات الحيوية التي تحدث بالجسم»، وشتّان بين الدّلالتين.

ومثل ذلك كلمة (**Bullets**) التي تعني في النّصوص العادية «رصاصات» بينما في علوم الحاسب الآلي تعني: «علامات للتّنبيه توضع عند بيانات معيّنة للرجوع إليها بسهولة عند الطّلب»[1].

وإذا كان هذا النّوع من التّداخل يمسّ الجانب الدّلالي، فقد يحدث نوع آخر من التّداخل يمسّ الجانب اللفظي في لون من ألوان الاشتراك، فغالبا مثلا ما يكون اختراع عبارة مركّبة لتدلّ على (اسم أحادي الدلالة) بفضل تجميع وحدتين معجمتين، وهنا على المترجم أن يكون عارفا بخصوصية استخدامه عند مجتمعه الناطق به، حتى لا يقع في الخطأ عند الترجمة، فلو نأخذ مثلا كلمتي: (carte) و (orange) في اللّغة الفرنسية لوجدنا لكل منهما دلالتها الخاصة في حقلها الدّلالي الذي تنتمي إليه، ولكن عند اجتماعهما في تركيب موحّد، فإن الدّلالة تتغيّر، لأنّ (**La Carte Orange**)[2]، أحادية الدّلالة في فرنسا إذ تعني:« الاشتراك في ركوب وسائل النّقل العمومي في باريس وضواحيها».

---

[1] _ صلاح حامد إسماعيل: المرجع نفسه، ص 34.

[2] _ ينظر: صابر الحباشة: تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، المرجع السابق، ص 92.

3-مواكبة الاتّجاهات الحديثة في التّرجمة: يُفترض بالمترجِم المتمكّن من التّرجمة أن يكون مواكبا لكلّ جديد بخصوص الاتّجاهات الحديثة فيما يتعلق بكتابة النّصوص العلمية (Technical Writing)، والالتزام بقواعد هذا النّوع من التّرجمة من حيث تجنّب التّكرار والإطناب، ومعرفة المواطن التي تستخدم فيها المصطلحات الأجنبية في النّص العربي، وكذا استخداماتها في النّص الأجنبي المترجَم.

ثانيا: التّرجمة الأدبية:

تلتقي التّرجمة مع علم الّدلالة في مجال الإبداع أو في مجال المنتوج المجازي الذي يختلف من لغة إلى أخرى، بسبب عدم تطابق اللّغتين في العادات والتّقاليد والأخيلة، ومن ثمّ فإنّ هذا الاختلاف قد يصعّب من مهمة المترجِم، الذي يجب أن يكون عارفا بموضوعات التلطّف في التّعبير، والاستخدامات المجازية، واختلاف دلالة اللّفظ في سياقات مختلفة، مع مراعاة المجال الدّلالي لكل لفظ بين اللّغتين الأصل والهدف، وهذا رفعا للّبس الدّلالي الذي قد يحدث إذا كان المترجم غير متمكّن من اللّغتين.

وللبرهنة على ذلك نقدّم المثال الآتي:

يخرج الفعل (ضرب) للدّالة على استعارة جمالية في سورة الكهف إذ يقول عزّ مقامه: ﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** ﴾[الكهف: 11]، فدلالة (الضرب) في هذا السّياق هي من أكثر التّحديات التي ما ينفك المترجم أن يواجهها تبعا لمنظور الثقافة المستقبِلة للنّص المترجَم، ذلك أنّ النّص الجديد سيكون حاملا لمنظومة جديدة من القيم يتكفّل بنشرها، تختلف من مجتمع إلى آخر.

فالحمولة الفكرية لهذا الفعل تتمايز من مجتمع إلى آخر؛ ذلك أنّ «الضّرب على الآذان»، إذا لم يفهم بمعناه الحقيقي في السّياق النّصي للخطاب القرآنيّ، لا يمكن ترجمته ترجمة صحيحة، لهذا سجّلنا إخفاقا في ترجمته عند (كزمرسكي) kazimirskiباللّغة الفرنسية على النّحو الآتي:

«**Nous Avons frappé leurs oreilles** de surdité dans la caverne pendant un certain nombre d'années» [1]

[1]-Kazimirski, le coran, paris, Garnier -Flammarion, 1970, p428.

إذن، لم يوفّق الباحث في ترجمته، لأنّه اكتفى بالمعنى الظاهر للخطاب، وأهمل المعاني الخفيّة؛ لأن الضّرب على الآذان يعني (الإنامة) الثّقيلة التي لا تنبهّهم فيها الأصوات ؛ فالقرآن الكريم في هذا المقام يقدّم لنا علاقة مشابهة بديعة لتحقيق الأداء اللغوي الرفيع، بالإضافة إلى ما تحققه الاستعارة من حسن التّصوير، وتوضيح المعنى، والإيجاز في الأداء وجعل التعبير أكبر أدبية؛ فالضّرب على الآذان تعبير معقول ومحسوس انتقل بنا من عالم المرئيات إلى عالم المعنويات وهو (الإنامة) الّتي تعني الفقدان الجزئي للوعي بالعالم الخارجي، وكأنّ الآذان قد أصابها الصّمم لسنين طويلة، ولا يمكن بعدها الإحساس بالعالم الخارجي.

تاسعا: علاقة علم الدّلالة بتحليل الخطاب:

لم يكن مصطلح [الخطاب] موضوعا لدراسات المحدثين فقط، بل عُرف في التّراث العربي عند بعض اللّغويين والبلاغيين، فهذا بدر الدّين الزرّكشي (ت 794ه) يعرّفه بقوله: «الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيّء للفهم» [1].

فهو في تعريفه هذا يؤكد على جانبين مهمّين، جانب الإفهام وهذا متّصل بالمتكلّم الذي يجب عليه أن يكون مقتدرا في توصيل رسالته عند تكلّمه، وجانب القصد متعلق بالمتلقّي الذي من شأنه استقبال المعنى المراد دون تشويه، وعليه يكون الخطاب علاقة لسانية بين المخاطَب والمخاطِب.

أما المقاربة اللّسانية لتحليل الخطاب (Analyse du discours) – بعكس المقاربات الاجتماعية والنفسية والفلسفية– تعالج «كيفية استعمال النّاس اللّغة أداة للتواصل، وكيف يؤلّف المتكلّم رسائل لغوية يوجّهها إلى المتلقي، فيقوم هذا بمعالجتها لغويا على نحو خاص لتفسيرها»[2]، هذا يعني أنّ محلّل الخطاب وجب عليه أن يوجّه اهتمامه إلى وظائف اللّغة التي يوجهها المتكلم إلى المخاطب، وهي الوظيفة التّواصلية التي تعتمد نقل المعلومات نقلا صحيحا لتحقّقها، فإذا حدّد الطبيب بشكل دقيق للممرضة كيفية إعطاء الدّواء للمريض جاءت النتيجة الايجابية وهي الشّفاء،

---

[1] _الزركشي، بدر الدين: البحر المحيط في أصول الفقه، دار الصفوة للطباعة والنشر، الكويت، ط2، 1992م، ج1، ص 126.

[2] _ ج.ب براون، وجورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، الرّياض، (د.ط)، 1997م، المقدمة، الصفحة: ي.

بينما لو كان كلام الطبيب قاصرا لما تحصّلت وظيفة شفاء المريض بعد تحقّق الغرض التّواصلي في اللغة المحكية.

وجاء في "معجم اللّسانيات وعلوم اللغة" ما يأتي: «نسمّي **تحليل الخطاب** المقطع اللّساني الذي يحدّد القواعد التي تتحكّم في إنتاج جمل بنيوية» [1]، ولعلّ (فاندايك) في كتابه (Text and Context) الذي أخرجه إلى النّور سنة 1977م، كان أكثر الباحثين فهما للعلاقة الحتمية بين ثلاثة مجالات معرفية وهي الدّلالة والتّداول والخطاب، ويمكن تلخيصها في الخطاطة الآتية: [2].

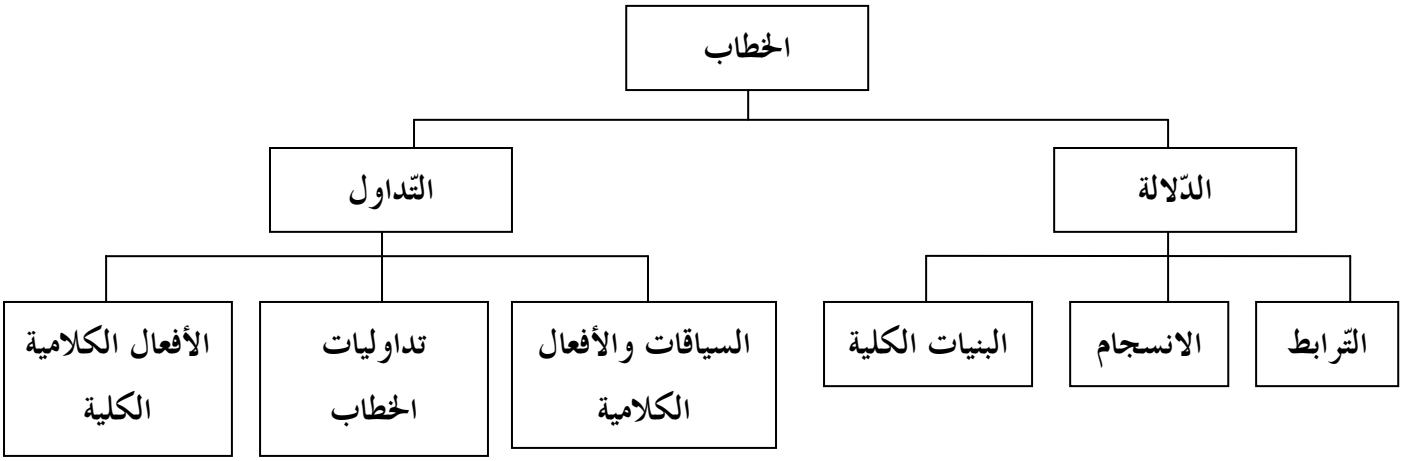

إنّ الذي يعنينا في هذا السّياق هو البنية الدّلالية للخطاب، التي تعتمد أساسيا على بنيات جزئية وأخرى كلّية منها: (التّرابط، والانسجام، والبنيات الكلية).

وقد ارتكز (فان دايك) في تحليله للخطابات على مظهر [التّرابط] الذي لا ينبني على العلاقات التركيبية بين الجمل فحسب، بل على تلك العلاقات فيما بينها، والتي تتمثّل في مقبولية النّص، أو قلّة مقبوليته أو انعدامها، ولنا في المثال التالي توضيحا لذلك:

أ-جون أعزب، فهو إذن متزوّج.

ب-جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيرا من الأسطوانات.

---

[1] _Dictionnaire de linguistique et des sciences du language. edition larouse, 1999, p34.

[2] _ينظر: محمد خطّابي: لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي-بيروت، ط1، 1991م، ص 27.

ج–**جون أعزب، وإذن فأمستردام هي عاصمة هولندا** [1].

فالجملة الأولى مقبولة دلاليا، والثّانية أقل مقبولية، والثالثة غير مقبولة دلاليا رغم صحّة إنشائها تركيبيا، ويعود هذا التقسيم الثلاثي عند الباحث إلى مدى إدراكه لأهمّية الجانب الدّلالي في ترابط النّص، فمفهوم [أعزب] في الجملة الأولى يتطابق دلاليا مع مفهوم [غير متزوّج]، بعكس عدم تطابق مفهوم العزوبة في المثال الثالث بعاصمة هولندا.

أمّا البنية الدّلالية الثّانية في تحليله فتتمثّل في [الانسجام] لأنّه من منظوره «تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدّلالة التي ستمكّننا من ذلك، وهي دلالة نسبية، أي أنّنا لا نؤوّل الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السّابقة عليها، فالعلاقة بين الجمل محدّدة، باعتبار التّأويلات النّسبية»[2].

ويمكن بذلك تحليل الخطاب في هذا المستوى بالنظر إلى جملة من المسائل منها:

أ–التّطابق الذاتي (**Individual Identity**): مثاله تطابق الشّخصية والضمائر الواردة في النص والتي تدلّ عليها.

ب–علاقات التّضمين والعضوية: (**Membership**): كعلاقات: الكلّ والجزء والملكية، مثال علاقة الجزء بالكل: يمكن أن تكون غرفة العمل جزءا من مكتب أو غرفة الجلوس، أو غرفة نوم...الخ.

وعندما ينتقل بنا (فان دايك) إلى المستوى الدّلالي الثّالث **[البينات الكلّية]** يربطها مباشرة بموضوع الخطاب، الذي يختزل وينظّم ويصنّف الإخبار الدّلالي للمتتاليات ككل[3]، بِعَدِّه بنية دلالية بواسطتها يتحقّق الانسجام في الخطاب، فهو أداة إجرائية حدسية بها يمكننا مقاربة البنية الكلّية للخطاب، التي تتحقّق بوجود جمل متعدّدة ومتنوعة، تعبر بشكل مباشر عن قضايا كلّية، ومنه فإن تحليل الخطاب لا يتعدّى أن يكون دراسة الاستعمال الحقيقي للغة من قبل متكلمين حقيقيين في

---

[1] _ ينظر محمّد خطّابي: لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المرجع السّابق، ص 31.

[2] _ المرجع نفسه، ص 34.

[3] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

وضعيات حقيقية[1].

تدور النّماذج التّحليلية السّابقة في سياق لسانيات الخطاب، التي تتقاطع مع علم الدّلالة في المستوى الإجرائي للخطابات، أمّا تحليل الخطاب فهو من وجهة نظر (مانغونو) «بدل أن يقدم على التّحليل اللّغوي للنّص في ذاته أو على التّحليل السّوسيولوجي أو النّفساني لمحتواه يسعى إلى مفصلة (Articuler) تلفّظه مع موقع اجتماعي بعينه، وهكذا، يجد تحليل الخطاب نفسه حيال أنواع الخطابات المشتغلة في قطاعات القضاء الاجتماعي (المقهى، المدرسة، المحلّ التجاري)، أو في الحقول الخطابية (السّياسي، العلمي)» [2]. بمعنى أنه يدرس الاستعمال الحقيقي للّغة من قبل متكلّمين حقيقيين في وضعيات حقيقية لغايات اجتماعية تعبيرية وإحالية.

ولأجل صياغة شكلية ومعنوية للخطاب على مستوى التّحليل، فقد أعطى "العنّاتي" تصوّرا يقوم على ثلاثة فروع متضافرة نلخّصها في الآتي [3]:

أ-شكل الخطاب: أي بنية الخطاب الشكلية من حيث هو نصّ لغويّ متماسك تتحقّق فيه شروط النّصية، أي التّماسك النّصّي (أدوات الرّبط، الإحالة، الحذف، التكرار).

ب-مضمون الخطاب: أي الرسالة والمعنى الذي يحمله الخطاب بما هو تفاعل دلالات المفردات والجمل في بنيتها العميقة لإنتاج المعنى الكلّي للنّص.

ج-سياق الخطاب: الإطار المعرفي والثقافي والإيديولوجي الذي أُنجز الخطاب في ضوئه.

إنّ ما يستنتج من هذه الأطروحات أنّ هناك علاقة قويّة بين الخطاب والدّلالة؛ فالخطاب مجموعة من الجمل-مثله مثل النّص- تخضع للتّرابط عن طريق أدوات نحوية، أو عن طريق التّلاحم المعنويّ، وهنا يكون محلّل الخطاب عارفا بعلم الدّلالة كي يستضيء بمنهجيته في تحليله اللّغوي، كما يجب عليه أن يدرك خصائص المجال الخطابي الذي يعمل عليه (خطاب أدبي، خطاب ديني، قانوني،

---

[1] _ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النّص، سلسلة عالم المعرفة، العدد 164، 1992م، ص.

[2] _دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008م، ص09.

[3] _ وليد العنّاتي: تحليل الخطاب وتعليم مفردات العربية للنّاطقين بغيرهما، مجلة البصائر، المجلد 13، العدد: 02، آذار، 2010، جامعة البترا، الأردن، ص 93، نقلا عن: لخذاري سعد: الدرس البلاغي العربي، ص 142-143.

علمي، تمثيلي، سردي)، لكي يكون قادرا على معرفة تمثّلات السّياق المساعدة على معرفة الظروف الزّمانية والمكانية والخطابية في فهم حيثياته، مادام السّياق بأنواعه هو أحد أهمّ موضوعات علم الدّلالة المساعدة على إنتاج الخطاب وتأويله.

وما علم الدّلالة التّداولي الذي يتغذّى من الفلسفة التّحليلية الإنجليزية من خلال نظرية أفعال الكلام، إلا دليل على نقاط التّعالق بين علم الدّلالة وتحليل الخطأ؛ «فلمّا يُنتج الفرد خطابا فإنّه يخضعه لقوانين التّداول اللّغوي، ولاسيما التّحليل الدّلالي للعبارات الخطابية، حيث يكون هناك تقارب بين علم الدّلالة والتداولية كمجالين يخدمان ويكمّلان بعضهما البعض في التّحليل» [1].

أما من زاوية تعلّق علم الدّلالة بتحليل الخطاب فيتشكّل في مستوى مقاربة المعنى؛ فتحليل الخطاب يبدأ في مقاربته من أصغر وحدة لسانية دالّة وهي الكلمة، ثم ينتقل إلى تحليل الجمل بما أنّها سلسلة مترابطة من الوحدات الدّالة لينتقل إلى الخطاب كنظام كلّي، وهنا تؤكّد مدى أهمية علم الدّلالة في مقاربة الخطاب وإمداداته بالمفاهيم، التي تساعده على تحليله وتفسيره، انتقالا من الجزء نحو الكلّ، وقوفا عند كل العلاقات الممكنة الصّانعة للمعنى.

[1] _لخذاري سعد: الدّرس البلاغي العربي، المرجع نفسه، ص 146.

عاشرا: علاقة علم الدّلالة بالأنثروبولوجيا:

ينظر علماء الأنثروبولوجيا إلى اللغة بوصفها تشكل جزءا هاما وأساسيا في ثقافة مجتمع ما، ومن هذا المنطلق فهي عندهم نمط سلوكي يشكل بنية الإنسان ويحددها، فلا مناص عندهم من دراستها دراسة علمية تفضي بهم إلى نتائج دقيقة في مجال أبحاثهم.

فموضوع "القرابة والنّسب" [Kinship] من الموضوعات التي يهتمّ بها المشتغلون في علم الدّلالة «حيث تولّدت عن علاقات القرابة المتنوعة والدّقيقة لكثير من المجتمعات البشرية هياكل أو قوالب دلالية دقيقة لألفاظ القرابة ومصطلحاتها»[1].

ففي اللغة الإنجليزية مثلا نجد عددا قليلا من ألفاظ القرابة التي لا تشير إلى الجنس، بل لا تحمل إشارة له ألبتّة، بعكس العربية مثلا التي تفصّل القول في هذه المسألة؛ فلفظ (cousin) من الألفاظ التي تقوم على مبدأ التّماثل في دلالتها على الجنس (ابن العمّ/ ابن العمّة)، (ابن الخال/ ابن الخالة) في اللّغة الفرنسية، فهو لفظ واحد يطلق على مجموعة من الأفراد.

وكذا كلمة (Child) الإنجليزية الدّالة على المذكّر المفرد، والمؤنّث المفرد في الوقت نفسه، (الطفل والطفلة) على السواء، فهي توظف على شكل واحد ومتماثل بالنّسبة للذكر والأنثى. «وسواء أكان اللّفظ واحدا للمذكّر والمؤنث أو متماثلا أم لا، فهذا أمر يرجع للّغة وإلى أسلوب أدائها، فإن جاء لفظ (Married) في الانجليزية متماثلا (Symmetric) وشأنه شأن (Spouse)[*] فيأتي مع المذكر ومع المؤنّث دونما إشارة إلى الجنس، نجد لغات كثيرة مختلفة توظّف لفظا مختلفا لكل من الزّوج والزّوجة »[2].

يلاحظ من الأمثلة السّابقة الذّكر أنّ ألفاظ القرابة تتحدد دلالاتها تبعا إلى المنظور العقلي للمجتمع الذي يوظّف هذا اللّفظ في استعمالاته المختلفة، فلفظ (cousin) مثلا لا ينتظم دلاليا مع

---

[1] _ بَلمر: علم الدلالة، المرجع السّابق، ص 29.

[*] – (Spouse) تستخدم لدى علماء الأنثروبولوجيا للدّلالة على الزّوج (husband) والزوجة (wife) دون تفرقة جنسية بينهما، بيمنا ليس الأمر كذلك في اللغة العربية مثلا.

[2] _ بَلْمَرْ، المرجع السابق، ص 171.

فئة دون أخرى، وعليه فإن القرابة لأحد الوالدين يكون تحديدها غامضا في اللّغة الإنجليزية، في مقابل اللغة العربية التي توظّف جملة من المحْمولات الدّلالية التي تعبّر مرموزاتها عن القريب المحّدد إلى جهة الأب، أو إلى جهة الأمّ كالآتي: (ابن العمّ، ابن العمّة، ابن الخال، ابن الخالة).

حادي عشر: علاقة علم الدّلالة بعلم الاجتماع:

إنّ علاقة هذا العلم بعلم الاجتماع تتجلى في القاسم المشترك بينهما وهو "اللغة". فعلم الاجتماع «يتجاوز اللّغة بوصفها مظهرا فرديا منعزلا، إلى كونها ظاهرة اجتماعية تحمل مظهر الاستعمال الفرديّ، المطبوع بطابع الجماعة اللّغوية، التي تقوم بدور توفير المَحْضَن اللّغوي، بما تقدّمه للنّاشئ من ذخيرة لفظية، وقواعد تضبط عملية الكلام، لا في صورة مجرّدة، بل من خلال الاستعمال، في المقامات المختلفة...» [1]، وهذا الاستعمال إنما يعكس جوانب مختلفة من هذا المجتمع، متمثّلة في عاداته وتقاليده وثقافته وخصائص حضارته وطرائق تفكيره.

أمّا علم الدّلالة فيتعامل مع اللّغة في مستواها الدّلالي، الذي سيتمظهر بقوة في سياقات ثقافية واجتماعية معينة، كما أنّ المواقف الكلامية بما فيها من مستويات في التّدرج اللّغوي، هي صور عاكسة للمستوى الاجتماعي للمتكلّم، ناهيك عن قدراته المعرفية، ومستواه اللغوي، والقواسم المشتركة بينه وبين المستمعين.

فعلاقة اللّغة بالمجتمع هي نقطة الاشتراك بين هذين العلمين؛ ذلك أنّ المعاني (الدّلالات) لا تكمن في الأدوات اللّغوية المستعملة، بل لدى المتكلّم الذي يستعمل تلك الأدوات، ويوظفها بطرف مختلفة[2]، فتنعكس صور المجتمع في منطوقاته عبر آليات يستخدمها، فتتمايز طرق الاتّصال بين النّاس تبعا لانتماءاتهم، وتتباين طرق تعبيرهم تبعا لمستوياتهم الثّقافية، كما تتولّد دلالات الكلمات وتزيد عمقا كلما استوفاها المجاز وخرجت عن إطارها المعجميّ.

---

[1] _ ينظر: إبراهيم انيس: دلالة الألفاظ، المرجع السّابق، ص 49.

[2] _ ينظر: خليفة بوجادي: المرجع السابق، ص 102.

ثاني عشر: علاقة علم الدّلالة بالنّقد الأدبيّ:

من المؤكّد أنّ اهتمامات النّقاد بجماليات النّص الأدبي من حيث هو فن لغوي، دفعتهم بطريقة غير مباشرة إلى تقصي دلالات النّص وعلاقاته الدّلالية، وهذا له قيمية من حيث وضوح الرّسالة الموجّهة من المتكلّم إلى المتلقّي، لهذا سنحاول في هذه الجزئية من المحاضرة أن نقف عند بعض الجهود الدّلالية عند نقاد القرن الرّابع الهجريّ، في سبيل معرفة نقاط التّداخل بين علمي النّقد والدّلالة.

لقد اهتم النّقاد في شروحهم الشّعرية بتحليل دلالة المفردة وتطوّرها الدّلالي[1]، خصوصا عند وقوفهم مع السّياق وتأثيراته في تشكيل النّصوص الإبداعية دلاليا، كما نرى رائدهم ابن قتيبة في كتابه (الشّعر والشّعراء) يهتمّ ببعض المسائل الدّلالية، حيث نراه يقسّم الشّعر إلى أربعة أضرب بحسب اللّفظ والمعنى[2]، فثمّة ضرب حسُن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب جادّ معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب تأخّر لفظه وتأخّر معناه، واستشهد ببيت شعريّ للبيد وعدّه مما استحسن من قول الشّعراء إذ يقول:

مَـــا عَاتـــبَ المَـــرْءَ الكـــريمَ كَنَفْســـهِ والَمْـــرْءُ يُصْـــلِحُهُ الجَلِـــيسُ الصَّـــالِحُ

كما اهتمّ أصحاب الشّروح بالمترادف والمشترك اللّفظي في تحليلهم للقصائد، فقد وظفها ابن جنّي في (الفسر الكبير، وشرح أرجوزة ابي نواس...) والآمدي في الموازنة، وابن الأنباري وابن النّحاس في شرحهما على قصائد المعلّقات، فقد وقف كل هؤلاء على شرح الألفاظ في الأبيات الشّعرية باحثين عن دلالاتها السّياقية تبعا لموضوعات الخطاب الشّعري.

فمن المشترك اللّفظيّ مثلا [3]:

-**الصّلعاء**: ضد الفرعاء، الأمر الشّديد، الصّحراء، اللّيلة الحارة.

-**العصفور**: الطائر، الكتاب، الملك، مسمار السّفينة...

-**الهلال**: غرّة القمر، الغبار، حي من أحياء العرب، الطّاحونة، والحيّة.

---

[1] _فايز الداية: علم الدّلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 32.

[2] _ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، يراجع تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1966، ص 64-69.

[3] _ فايز الداية: المرجع السّابق، ص 82.

ومما جاء في (الفسر) لابن جني تعرّضه للمعاني التي تؤدّيها صيغة (الواجد) من خلال نماذج شعرية استشهد بها، وممّا ذكره عند شرحه لمعانيها بيتا لمتنبي يقول فيه [1]:

وَلِلْوَاجِـــدِ المَكْـــرُوبِ مِـــنْ زَفَرَاتِـــهِ سُكُونُ عَـــرَاءٍ أَوْ سُـــكُونُ لُغُـــوبِ.

فلفظة (الواجد) فسّرت بمعنى الحزين، والغضبان، والعالم، فكلّ هذه الاستعمالات تتمظهر في البيت الشّعري بحسب إسقاطها فيه، فأيّها كانت تعبّر عن المعنى المراد، فهي الأكثر أهمية في الصياغة العامة. كما رصد النّقاد أيضا الدّلالات الحديثة للألفاظ في لغة الشّعراء المعاصرين ممّا يتّصل بالحياة وجوانبها الفكرية، والاجتماعية، والثقافية، يقول صلاح عبد الصّبور في قصيدته "درب الزّحام" [2]:

- لَكِ، لِي، لِمَنْ دَاسُوهُ فِي دَرْبِ الزِّحَامْ.

- أُلْقِي السَّلَامْ.

فدلالة لفظة **"الزّحام "** كانت تعني المضايقة، إلا أنّها اكتسبت بُعدا دلاليا جديدا لتدلّ على تصوير مدينة تعجّ بالبشر وما يكون بينهم من اختلاط، وعدم تمييز الغريب منهم من أهل البلد.

---

[1] _ فايز الداية، علم الدّلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية المرجع السّابق، ص 88.

[2] _ المرجع نفسه، ص 445.